التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 209 السنة 23 - إبريل 2025

رحيل المناضل
والنائب في برلمان السبعينات
محسن مرهون

موقفنا

الوحشية العارية في غزّة

دأب العرب، وقادتهم خاصةً، على مناشدة المجتمع الدولي بإدانة الحرب الصهيونية ضد سكّان قطاع غزّة، فيما هم عاجزون عن إتخاذ موقف إزاء هول ما يجري. هذه الغطرسة الصهيونية ما كانت ستكون على ما هي عليه لولا التخاذل العربي، ولولا الدعم الأمريكي المفتوح للمعتدين، حيث يتباهي دونالد ترامب بدعمه الكلي لما يرتكبه الكيان الصهيوني من مجازر ضد الأبرياء في غزّة، بقتل من بقوا على قيد الحياة، وما يوقعه من دمار في ما تبقى فيها من (بقايا) بيوت ومرافق وخيام اللاجئين، وهو دعم مرتبط بدعوة ترامب لتهجير سكّان القطاع، وتحويله إلى مشروع استثماري تديره واشنطن نفسها، وربما يريد له أن يكون جزءاً من إمبراطوريته العقارية الخاصة.

لهذا ما انفكّ القادة الصهاينة وعلى رأسهم مجرم الحرب نتنياهو وفريقه الحربي والأمني يعلنون أنّ عدوانهم على غزّة مستمر، ولن يتوقف قبل أن يُحقق أهدافه، ولم تعد هذه الأهداف بخافية، بعد ما جاهر بها ترامب، ولم يترك هؤلاء الصهاينة في الفصل الجديد الأشدّ وحشية ودموية من عدوانهم وسيلة إلا واتبعوها: الغارات الجوية، الصواريخ المُوجهة، الضربات الأرضية، العمليات الخاصة، التوغل البري في المزيد من الأراضي، بما في ذلك تلك التي انسحب منها العدو وفق بنود الهدنة التي أنهاها منفرداً بدعم وتشجيع من ترامب، وسط صمت وتواطئ عربيين مخزيين، ويتباهى قادة الكيان بما يقومون به من فظائع محتفين بقدرات جيشهم في قتل أكبر عدد ممكن ممن بقوا أحياءاً في غزّة من المدنيين، وفي مقدّمتهم النساء والأطفال.

قبل عقود، قال كاتب السيناريو والرسام والروائي الإنجليزي جون بورجر إنّ وجه إسرائيل يتكشف عن «وحشية عارية»، حيث «تتصرف على أنّها الحَكم المفرد، كليّ القدرات، المعصوم من المساءلة»، مؤكداً أنّ الدولة الصهيونية «تؤمن بالموت لا بالعدالة، بالصمت لا بالتاريخ، بأسلحتهم المستوردة لا بأطفالهم».

هذه الوحشية العارية لإسرائيل هي نفسها التي تمارس اليوم في غزّة وحتى في الضفة الغربية، بالتباهي بقتل الفلسطينيين والتنكيل بهم، والتهديد والوعيد بردود فعل أقسى وأعنف في المستقبل، وازدراء المنظمات الدولية المعنيّة بحقوق الإنسان، في مظهر من مظاهر التوحش التي بلغها القادة الصهاينةً الذين يتصرفون على أنّهم الأبناء المدللون لمن بيدهم القرار الحاسم على هذا الكوكب المبتلى بالطغيان والاستبداد وشرائع وحوش الغابات، لأنّهم مطمئنون إلى أنّهم فوق أيّ مساءلة، وأنّ "الفيتوهات" الأمريكية هي "قبتهم السماوية" في السياسة!

التقدمي

في ذكرى انتفاضة مارس: دعوة لإصلاحات مستدامة

أكدت القوى الوطنية في الذكرى الستين لانتفاضة مارس أن أسباب الأزمات السياسية والاقتصادية ما زالت قائمة دون حلول جذرية، مما يعكس الحاجة الملحة إلى إصلاحات مستدامة. ودعت جمعيات القوى الوطنية (المنبر التقدمي، التجمع القومي، والتجمع الوحدوي) الحكومة إلى اتخاذ خطوات فعلية لتحقيق إصلاح سياسي ودستوري يعزز الحقوق والحريات، مع تحسين الأوضاع المعيشية للمواطنين والمتقاعدين، والتراجع عن أي قرارات تزيد من الأعباء الاقتصادية، بما في ذلك الضرائب الجديدة ورفع الأسعار. كما شددت القوى الوطنية على أهمية توحيد الصف الوطني وتعزيز الحوارات السياسية لمواجهة التحديات الراهنة، مجددة رفضها للتطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي ودعوتها لإلغاء الاتفاقات التي لا تعكس إرادة الشعب البحريني.

بمناسبة 8 مارس: التقدمي يطالب بتعزيز حقوق المرأة

هنأ المنبر التقدمي المرأة البحرينية ونساء العالم بيوم المرأة العالمي، مؤكداً ضرورة تكريس المساواة الكاملة للنساء في جميع الحقوق. وشدد على الحاجة إلى تغييرات قانونية وتشريعية تعزز حقوق المرأة، خاصة فيما يتعلق بقانون أحكام الأسرة والجنسية، إضافة إلى تحسين ظروف العمل والأجور، وتوفير حماية قانونية أكبر من العنف الأسري. كما دعا إلى دعم الجمعيات النسائية وتعزيز أنظمة الحماية الاجتماعية للمرأة العاملة. وأعرب التقدمي عن تضامنه مع المرأة الفلسطينية التي تعاني من الاحتلال الإسرائيلي، مؤكداً ضرورة الوقوف إلى جانبها في نضالها من أجل الحرية والكرامة.

رفض تحميل المواطنين أعباء تحقيق فائض الميزانية

أعربت الجمعيات السياسية عن رفضها القاطع لأي سياسات تستهدف تحقيق فائض في الميزانية على حساب المواطن البحريني، معتبرة أن زيادة الضرائب ورفع الأسعار سيؤديان إلى زيادة الأعباء الاقتصادية والاجتماعية.

وأكدت الجمعيات السياسية: (المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، الأصالة الإسلامية، التجمع القومي، الوسط العربي الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، التجمع الوطني الدستوري، الصف الاسلامي، والتجمع الوحدوي)، أن هذه السياسات تفتقر للعدالة الاجتماعية، مشددة على ضرورة البحث عن حلول اقتصادية أكثر استدامة مثل تنويع مصادر الدخل، تحسين كفاءة الإدارة، مكافحة الفساد، وتوجيه أرباح الشركات الحكومية لخدمة الميزانية العامة.

وأكدت الجمعيات استمرارها في الدفاع عن حقوق المواطنين ورفض أي سياسات تمس معيشتهم واستقرارهم الاقتصادي.

فضفضة

عيسى الدرازي

ميـزانيــة «العصا والجزرة»

تشهد الساحة النيابية هذه الأيام مناقشات متواصلة حول مشروع الميزانية العامة للدولة، وسط ترقب شعبي واسع لما ستسفر عنه هذه الحوارات من نتائج تمسّ حياة المواطن بشكل مباشر. وبينما يفترض أن تسود أجواء من الشفافية والتكامل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، إلا أن ما يُلاحَظ على أرض الواقع هو تصاعد حالة من التوجس تجاه الطريقة التي تتبعها الحكومة في التعاطي مع ممثلي الشعب. الأسلوب الذي بات يعرف بـ"العصا والجزرة"، والذي تستخدمه الأطراف الحكومية في الضغط أو التلويح بالمكاسب والامتيازات للمواطنين، يطرح علامات استفهام حول جديّة الحوار وصدقه. فهذا النهج لا يتماشى مع الممارسات الديمقراطية التي تقوم على الاحترام المتبادل وتبادل الرؤى بشفافية، بل يعكس محاولة لتقييد دور المجلس النيابي وتحجيم صوته الرقابي والتشريعي.

في هذا السياق، من الضروري التأكيد على أن المواطن هو أساس أي ميزانية وأي سياسة حكومية. فحفظ حقوقه وكرامته يجب أن يكونا في صدارة الأولويات، وأي حوار يُعقد بشأن الميزانية لا يمكن أن يتجاهل هذا البعد الجوهري. إن تمكين المواطن من حياة كريمة، وتوفير فرص عمل وخدمات صحية وتعليمية وسكنية لائقة، يجب أن يكون جوهر كل رقم يُدرج في الميزانية وكل بند يُناقش.

المرحلة الحالية تتطلب شجاعة سياسية ومواقف مسؤولة من كافة الأطراف. فمصلحة الوطن لا تُختزل في توافق شكلي بين السلطتين، بل في اتفاق حقيقي على رؤية موحدة هدفها الأسمى: رضا المواطن، حفظ كرامته، وتأمين معيشته بعدالة وكرامة.

طالبت بوقف التطبيع مع الكيان الصهيوني

الوطنية لمناهضة التطبيع تدين مجازر غزّة

طالبت المبادرة الوطنية البحرينية لمناهضة التطبيع مع العدو الصهيوني باتخاذ موقف حاسم بقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع الكيان الصهيوني، وذلك في ظل التصعيد الدموي الأخير على قطاع غزة الذي راح ضحيته المئات من الشهداء المدنيين، غالبيتهم من النساء والأطفال.

وأدانت المبادرة العدوان الصهيوني المتجدد على غزة، واعتبرته جريمة حرب وانتهاكًا صارخًا للقانون الدولي والإنساني، مشيرة إلى أن استهداف المدنيين وتدمير البنية التحتية يمثل استمرارًا لسياسة الإبادة الجماعية التي ينتهجها الاحتلال الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني.

كما حمّلت المبادرة الإدارة الأمريكية ورئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو المسؤولية الكاملة عن خرق اتفاق وقف إطلاق النار، مؤكدة أن هذه الأطراف تتحمل تبعات التصعيد العسكري وتعريض حياة المدنيين العزّل للخطر.

وأكدت المبادرة على ضرورة التحرك العربي والدولي لكسر الحصار عن غزة وتقديم المساعدات الإنسانية العاجلة، داعية الشعب البحريني إلى التعبير عن تضامنه مع القضية الفلسطينية من خلال المشاركة في الفعاليات الشعبية والدعم الإنساني.

وقّع على البيان عدد من منظمات المجتمع المدني البحرينية هي: المنبر التقدمي، جمعية مناصرة فلسطين، جمعية الاجتماعيين البحرينية، جمعية المنبر الوطني الإسلامي، جمعية أوال النسائية، الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، جمعية تجمع الوحدة الوطنية، رابطة شباب لأجل القدس، الاتحاد النسائي البحريني، جمعية المرأة البحرينية، جمعية أصدقاء البيئة، جمعية الصف الإسلامي، التجمع الوحدوي، التجمع القومي، جمعية الأصالة الإسلامية، جمعية الوسط الإسلامي، جمعية التجمع الدستوري، الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع، جمعية المحامين البحرينية، جمعية فتاة الريف، جمعية مدينة حمد النسائية، الجمعية البحرينية للشفافية، جمعية نهضة فتاة البحرين، وجمعية الشباب الديمقراطي.

الأحزاب الشيوعية العربية تدعو لموقف موحد ضد تهجير الفلسطينيين

جددت الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية إدانتها للعدوان الصهيوني المستمر على الشعب الفلسطيني وتوسيع نطاقه في الضفة الغربية، إضافة إلى الهجمات المتواصلة على سوريا ولبنان. وأكدت مجموعة الأحزاب الشيوعية العربية: (الحزب الشيوعي الأردني، المنبر التقدمي البحريني، الحزب الشيوعي العراقي، الحزب الشيوعي السوري الموحد، الحزب الشيوعي السوداني، الحزب الشيوعي اللبناني، حزب الشعب الفلسطيني، الحزب الشيوعي المصري، حزب التقدم والاشتراكية المغربي)، رفضها للمخططات الأمريكية – الصهيونية التي تهدف إلى تهجير الفلسطينيين، لما تشكله من خطر على سيادة الدول العربية وأمن المنطقة. ودعت القمة العربية في القاهرة لاتخاذ موقف موحد، وإجراءات سياسية واضحة لدعم الشعب الفلسطيني ورفض مشاريع التهجير. كما شددت على ضرورة الحفاظ على وكالة الأونروا، واستخدام الأدوات الاقتصادية العربية للضغط على الاحتلال، ووقف التطبيع معه، والتمسك بالشرعية الدولية لدعم حقوق الفلسطينيين، وتعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية.

التقدمي ينعى المناضل محسن مرهون

نعى المنبر التقدمي المناضل محسن مرهون، أحد مؤسسيه والقيادي الوطني البارز الذي لعب دوراً مهماً في الدفاع عن حقوق العمال والمواطنين، عضو كتلة الشعب اليسارية في برلمان 1973 – 1975، المدعومة من جبهة التحرير الوطني، التي فازت بثمانية نوّاب من أصل ثلاثين نائبا، مجموع النواب المنتخبين، وبعد حلّ المجلس كان ضمن من اعتقلوا من الناشطين السياسيين، وطبق عليهم قانون أمن الدولة سيء الصيت، ومكث في السجن خمس سنوات متواصلة متنقلاً بين سجون مختلفة.

وبرز الراحل في برلمان عام 1973 كمدافع قوي عن القضايا العمالية والديمقراطية، كما كان له دور بارز في التصدي لمشروع قانون أمن الدولة، قبل حل المجلس الوطني حينها.

وواصل مرهون نضاله داخل البحرين وخارجها من أجل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وكان من مؤسسي جمعية المحامين البحرينية، وبعد التحوّل السياسي في البحرين في مطلع هذه الألفية كان أحد أبرز مؤسسي المنبر التقدمي وقياديه.

وأعرب المنبر التقدمي عن تعازيه لعائلته ورفاقه.

محسن مرهون مع رفيقه في كتلة الشعب الراحل محمد جابر الصباح

فلسطين حاضرة في دورة «التقدمي» الرمضانية الخامسة لكرة القدم

نظمّ قطاع الشباب والطلبة في المنبر التقدمي برئاسة الرفيق هشام رشدان، الدورة الرمضانية الخامسة لكرة القدم، التي أقيمت هذا العام على ملاعب نادي سار الرياضي، حيث شاركت فيها ست فرق شبابية رياضية من مناطق مختلفة في البحرين، وتمّ تسمية الفرق المشاركة بأسماء المدن الفلسطينية: غزّة، أريحا، حيفا، الخليل، القدس، فضلاً عن مسمى فلسطين نفسها، تضامناً مع الشعب الفلسطيني الشقيق الذي يتعرض لإبادة جماعية من قبل الكيان الصهيوني المدعوم من الإمبريالية الأمريكية والدول الأوروبية، على مدار سبعة عشر شهراً ولا يزال.

فاز ببطولة الدورة فريق حيفا بعد تغلبه على فريق غزّة في المباراة النهائية بالضربات الترجيحية، وقام بتسليم درع البطولة والميداليات الذهبية الرفيق فلاح هاشم، النائب البرلماني السابق عن الدائرة الخامسة في المحافظة الشمالية، حيث كرّم الفريق الفائز بالبطولة، فضلاً عن فوزه بكأس هدّاف البطولة وكأس أفضل حارس مرمى فيها، فيما احتلّ فريق غزّة المركز الثاني.

حضر الدورة الرفيق عادل المتروك الأمين العام للتقدمي ونائباه، الرفيقان فاضل الحليبي ومحمد سلمان، وعدد من أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية وبعض أعضاء وأصدقاء التقدمي والجمهورالمشجع للفرق المشاركة في الدورة .

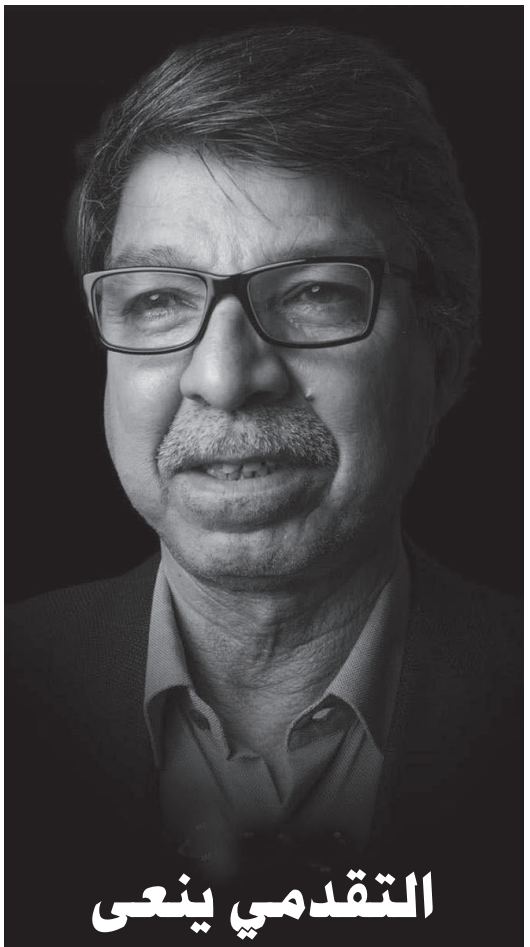

التقدمي ينعى النقابي عبدالله حسين

نعى قطاع العمال في المنبر التقدمي المناضل النقابي عبدالله حسين، أحد أبرز رموز الحركة العمالية البحرينية، وأحد مؤسسي اللجنة العامة لعمال البحرين والاتحاد العام لنقابات عمال البحرين. وكان الراحل ناشطاً في الدفاع عن حقوق العمال وشغل عدة مناصب في المنظمات النقابية الوطنية والدولية، كما لعب دوراً مهماً في الحركة الوطنية الديمقراطية. وأكد المنبر التقدمي أن الحركة العمالية فقدت برحيله مناضلاً صلباً، مشدداً على أن إرثه سيظل حياً في وجدان العمال والكادحين.

8 نقابات تحذّر «الاتحاد العام» من المساس بمبادئ العمل النقابي

أصدرت 8 نقابات عمالية بحرينية بيانًا حذرت فيه من خطورة تدخل الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين في عملها، والذي يمثل انحرافًا عن المبادئ الأساسية للعمل النقابي الحر، من خلال تصرفات ممنهجة من شأنها تقويض استقلالية النقابات العمالية.

وأكد البيان أن «العمل النقابي يتمحور حول استقلاليته، التي تمنحه القدرة على اتخاذ القرارات بحرية دون أي تدخل خارجي.

ويُعد دعامة أساسية لدعم قضايا العمال والدفاع عن حقوقهم، لذا يجب أن يظل بعيدًا عن أي تأثيرات أو وصاية تتعارض مع مصالح العمال».

وعبّرت النقابات المتضامنة عن استنكارها الشديد للبيان الصادر عن الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، والذي تم الترويج له عبر أفراد غير منتمين للنقابة العمالية لشركة ألبا، والسعي نحو تشكيل لجنة للإشراف على إعادة الانتخابات.

ولفت البيان إلى أن هذا التصرف ليس بجديد، حيث سبق للاتحاد العام أن تدخل في شؤون نقابتي الفولاذ والدرفلة.

وأشار البيان الصادر عن النقابات المتضامنة إلى أن مثل هذه الممارسات تعتبر تدخلاً صارخًا وغير مقبول في شؤون النقابات العمالية المنسحبة، ويشكل انتهاكًا فاضحًا لاستقلالية العمل النقابي. كما أن هذا التصرف يمثل انحرافًا عن المبادئ الأساسية للعمل النقابي الحر والمستقل، وهو أمر لا يمكن السكوت عنه أو التغاضي عن عواقبه.

وأضاف البيان أن استمرار الاتحاد العام في محاولاته لتقويض استقلالية النقابات يُظهر تجاهلاً تامًا لمبادئ الحرية النقابية وحقوق العمال، ويُعد استفزازًا صريحًا لكل من يؤمن بالعمل النقابي.

ودعا البيان جميع النقابات العمالية إلى الوقوف صفًا واحدًا في وجه هذه المحاولات التي تهدف إلى إضعاف النقابات واحدة تلو الأخرى، وتكشف حقيقة التدخلات، وهو ما يؤكد صحة قرار النقابات العمالية السابق بالانسحاب من هذا الاتحاد.

كما شدّد البيان على أهمية توحيد الصفوف النقابات العمالية وترسيخها لمواجهة أي محاولات تهدف إلى تقييد الحريات النقابية، والتي تتعارض بشكل صارخ مع المرسوم بقانون رقم 33 لسنة 2002 بشأن النقابات العمالية والمبادئ الدولية التي تحمي حقوق العمال.

وطالب البيان الاتحاد العام بوقف تدخلاته الفورية واحترام استقلالية النقابات، محذرًا من أن استمرار هذه الممارسات سيؤدي إلى مزيد من التصدعات في العلاقات النقابية، وهو ما لا يرغب فيه أي طرف يعمل من أجل مصلحة العمال وحقوقهم.

ووقّع البيان كل من نقابة عمال جارمكو، النقابة العامة للمضيفين الجويين، نقابة شركة DHL، نقابة طيارين طيران الخليج، النقابة العمالية لشركة ألبا، نقابة أسري العمالية، نقابة شركة الحد للطاقة، والنقابة العامة للإنشاء والمقاولات والخدمات.

الأيام 14 مارس 2025

نقابة أسري: الزيادة السنوية حق مكتسب للعمال

أكدت نقابة عمال أسري في اجتماعها الأسبوعي على إن أي اتفاق في الزيادة السنوية سيكون هدفه المحافظة على مكتسبات العمال.

وناقشت إدارة النقابة حيثيات الزيادة السنوية المتوقعة وموقف النقابة منها والخيارات المطروحة والخطوات التي يمكن ان تذهب لها النقابة في حال تعثر التسويات والحلول الوسط.

واستعرضوا استعدادات النقابة للفعاليات والبرامج التوعوية والاجتماعية حيث يجري العمل لتنظيم ورشة توعوية بعنوان مواجهة تحديات الحياة بالاضافة إلى الفعالية الاجتماعية التي تسبق شهر رمضان المبارك وهي توزيع السلة الرمضانية على أعضاء النقابة.

واختتم الاجتماع بتأكيد على ضرورة استمرار العمل الجماعي والتعاون من أجل تحقيق مصالح العمال وتعزيز حقوقهم في مختلف المجالات.

نقابة عمال «أوال» في اجتماعها الشهري تناقش الزيادة السنوية

عقد مجلس إدارة نقابة عمال أوال اجتماعه الشهري الدوري، حيث تناول خلاله مسألة الزيادة السنوية التي تهم عددًا كبيرًا من الأعضاء.

وأكد اعضاء مجلس إدارة النقابة أن هذا النقاش يأتي ضمن سلسلة من الجهود المستمرة لمتابعة حقوق العمال وتلبية مطالبهم العادلة، في إطار حرص النقابة الدائم على تحسين مستوى معيشة العمال في جميع المجالات.

وأضافت إدارة النقابة أن مثل هذه الاجتماعات تُعد منصة حيوية للاستماع لملاحظات الأعضاء والعمل على تطوير السياسات التي تعكس احتياجاتهم، مما يسهم في تعزيز العدالة الاجتماعية بين صفوف العمال.

مفصولو جارمكو يطالبون الجهات المعنية بالتدخل لإعادتهم للعمل

أكد عدد من مفصولي شركة «جارمكو» استمرار فصلهم عن العمل بالرغم من التوصل إلى اتفاق مبدئي بين إدارة شركة الخليج لدرفلة الألمنيوم «جارمكو» ونقابتها العمالية في بداية شهر فبراير الجاري.

وأشاروا إلى أنهم في الوقت الذي ينتظر فيه عدد من المفصولين إرجاعهم للعمل، وذلك في ضوء الاتفاق مع النقابة بعد سلسلة من الاجتماعات مع الأطراف المعنية، التي تم التوافق خلالها على إرجاع المفصولين، إلا أن الشركة مستمرة في فصل المزيد من الموظفين، مما يزيد من تعقيد الوضع الراهن.

ووصف المفصولون الوضع في الشركة بأنه غير مستقر على المستوى الإداري والعمالي، مطالبين الجهات المعنية، بما في ذلك وزارة العمل ونقابة الشركة، باتخاذ إجراءات أكثر صرامة لضمان تنفيذ الاتفاق وإعادتهم إلى أعمالهم دون تأخير.

«الأيام» - 2025/2/23

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

قلق بسبب تعديلات أجور بابكو ومطالبة بالشفافية والحوار الاجتماعي

كشف الأمين العام للاتحاد العام لعمال البحرين، عبدالقادر الشهابي، عن تغييرات مفاجئة طرأت على كشوف أجور عمال شركة بابكو منذ بداية العام، معبرًا عن استيائه وقلقه إزاء التعديلات الجوهرية التي شملت حذف بعض العلاوات واستحداث أخرى وتعديل مبالغها.

وأوضح الشهابي أن الكشف الجديد جاء بخفض العلاوة الاجتماعية بما يقارب 100 دينار وإلغاء علاوة البقاء للعمال ذوي الخبرة الطويلة، مما جعله ينقصه الشفافية ويصبح مُضللًا بشأن المستحقات الفعلية للعاملين. وأضاف أن هذه التغييرات جاءت في وقت اعتاد فيه العمال على نظام عمل متين مبني على التفاوض الجماعي والعقد الرسمي الذي يضمن حقوقهم، وهو النظام الذي جعل تجربة بابكو من أفضل التجارب العمالية في المنطقة.

كما أكد على ضرورة استئناف الحوار الاجتماعي بين ممثلي العمال وإدارة الشركة لتوضيح الملفات الجوهرية التي تمس حقوق العاملين، ومنها جودة العلاج والتأمين الصحي بمستشفى عوالي، وسياسات التوظيف والتدريب والتطوير المهني، ومستقبل العلاوات مثل الحوافز السنوية والأجر الإضافي، إضافة إلى حقوق مكافأة نهاية الخدمة والمعاش التقاعدي ونظام التوفير والإجازات السنوية.

جانب من الجلسة الافتتاحية

بحضور ممثلي القوى السياسية ومؤسسات المجتمع المدني وشخصيات وطنية

التقدمي يعقد مؤتمره العاشر وينتخب لجنة مركزية جديدة

تحت شعار «من أجل تصحيح المسار الاقتصادي واستعادة وتطوير المكتسبات الاجتماعية والحريات السياسية والنقابية»، عقد المنبر التقدمي مؤتمره العام العاشر، في الثامن والعشرين من شهر فبراير الماضي، وحضر افتتاح المؤتمر ممثلون للجمعيات السياسية ومؤسسات المجتمع المدني وعدد من الشخصيات الوطنية. افتتح المؤتمر بنشيد التقدمي: "طريقنا أنت تدري"، من ألحان الموسيقار الراحل المناضل مجيد مرهون، قبل أن تُلقى كلمات الضيوف، التي تخللها إلقاء فقرات من رسائل التحية الموجهة للمؤتمر، وللمنبر التقدمي، من الأحزاب الشقيقة في العالم العربي والعالم.

وأشارت عريفة الحفل الرفيقة أريج الجمري إلى أن انعقاد المؤتمر يتزامن مع الذكرى السبعين لتأسيس جبهة التحرير الوطني التي يشكّل منبرنا التقدمي امتداداً سياسياً وفكرياً لها، وهى القوة المناضلة التي لم يستطيعوا اقتلاع جذورها بالرغم من كل الضربات الموجعة، وبقيت شامخة وعنواناً للتحدي والصمود والعطاء الوطني، وهذه مناسبة نبدي فيها كامل التحية والاعتزاز والتقدير لكل المناضلين المؤسسين، الروّاد الأوائل، وأعضاء الجبهة، والمنبر التقدمي حالياً، وأصدقائه، والمشاركين في فعالياته، ومن يشرفونه بحضورهم وتواصلهم وتفاعلهم معه، مضيفة أن المؤتمر هو محطة جديدة في مسيرة منبرنا التقدمي وتأكيده بحزم واصرار على المضي في نضاله من أجل الديمقراطية والحريات وتحقيق المكتسبات الاجتماعية والدفاع عن الحقوق وقضايا العمال والمهمشين.

المتروك: النهج النيوليبرالي أفقر الدولة

في كلمته أمام المؤتمر أكّد الأمين العام الرفيق عادل المتروك أن التقدمي «سيستمر كما كان دوماً ملتزماً بثوابته النضالية والفكرية، متصدياً للخطابات الطائفية، بالتعاون والتنسيق مع التكوينات السياسية والجمعيات الأهلية، والمكوّنات الاجتماعية المختلفة في الدفاع عن حقوق شعبنا وكادحيه».

وقال المتروك: "بعد مرور أكثر من عقدين على انطلاق المشروع الاصلاحي، تراجعت التجربة السياسية في البلاد كثيراً، ورغم أن التجربة النيابية بدأت منقوصة، لكنها آخذة في التراجع أكثر فأكثر، مع حلّ بعض الجمعيات السياسية والتضييق على صلاحيات مجلس النواب إلى أبعد الحدود، وبات ملحاً تقييم التجربة النيابية ووضع التصورات حول مستقبلها، بإنهاء العزل السياسي وتوسيع صلاحيات المجلس المنتخب، وضمان استقلالية العملية الانتخابية».

عادل المتروك

وحول الوضعين الاقتصادي والمعيشي، أضاف المتروك أن "مواصلة السير على النهج النيوليبرالي أدى إلى رفع الحماية عن الاقتصاد الوطني، والربط الكلي بالمؤسسات الاقتصادية والمالية للشركات المتعددة الجنسيات والإتكاء على السياسة العسكرية لحلف الناتو، وإلغاء برامج الحماية الاجتماعية للطبقات المسحوقة، بالتوسع في الخصخصة وتسليع المحروقات والطاقة والخدمات الاجتماعية، وباعتماد سياسة ضريبية تفتقر إلى العدالة الاجتماعية، والاعتماد الكلي على الاقتصاد الريعي المعتمد على عوائد النفط والغاز ومشتقاته، وفي نهاية المطاف أدت وتؤدي هذه السياسة إلى إفقار الدولة وانزلاقها في محاذير الدين العام واضطرارها في الغالب إلى بيع أصول الدولة».

وأشار المتروك إلى أن ما يجري في منطقتنا "لا ينفصل عما يشهده العالم من تحوّلات، وطبيعة تفكير الإدارة الجديدة في واشنطن بزعامة ترامب، حين توجه اهتمامها نحو الشرق الأوسط لأسباب عدّة من بينها موقعه الاستراتيجي الذي يربط امدادات الطاقة ونقل البضائع من وإلى كافة الوجهات الدولية، الثروات الطبيعية وبالأخص المحروقات من النفط والغاز، كما أن وجود الكيان الاسرائيلي المحتل أسهم في تسعير ذلك الصدام إلى حرب إبادة شاملة ضد الشعب الفلسطيني تجاوزت أية حرب إبادة سابقة، مصحوبة بشتى سبل المحو الجغرافي من تدمير مطلق للبنية التحتية، هدم المستشفيات والمدارس

المتروك: مستمرون في الالتزام بثوابتنا النضالية والفكرية والدفاع عن حقوق شعبنا

النشابة: شعار مؤتمركم يجمع بين دفتيه المطالب الاجتماعية والسياسية للمواطنين

راشد الجودر

عبدالصمد النشابة

أريج الجمري

النشابة: نطالب باستعادة الحيوية السياسية في المجتمع

وفي كلمة التجمع القومي الديمقراطي قال الأمين العام للتجمع عبدالصمد النشابة: "أحيي رفاقنا الأعزاء في المنبر التقدمي، رفاقنا في درب النضال المشترك عبر عشرات السنين، كما أحيي هذا التنظيم الوطني الماضل وعطائه وتضحياته وشهدائه. إن شعار مؤتمركم "من أجل تصحيح المسار الاقتصادي واستعادة وتطوير المكتسبات الاجتماعة والحريات السياسية والنقابية" يجمع بحق بين دفتيه المطالب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمواطنين، حيث لا يخفى عليكم أن الأزمة التي اندلعت شرارتها منذ العام 2011 إثر التحركات الجماهيرية كان وراءها أسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية عميقة لاتزال للأسف واضحة المعالم في بلادنا".

وأضاف النشابه: "إننا ندعو إلى العمل على تجسيد شعار مؤتمركم باستنهاض الحياة السياسية من خلال دعوة كافة القوى والشخصيات الوطنية إلى الانخراط في نهج نضالي يطالب باستعادة الحيوية السياسية عن طريق المطالبة بالتراجع عن حلّ الجمعيات السياسية، وإطلاق حريات عمل الجمعيات القائمة ووقف التضييق على نشاطها، كما حدث لأكثر من مرة مع أنشطة التجمع القومي، كذلك إطلاق الحريات السياسية وحريات مؤسسات المجتمع المدني وإطلاق سراح المعتقلين وغيرها من المطالب.

وقال النشابة: "أما في جانب تحقيق البرامج الاجتماعية العادلة، وهي الشق الآخر من شعار مؤتمركم، فهي مهمة لا تقل خطورة عن الشق الأول، حيث أننا نرى التراجع الكبير في هذه البرامج. فبعد برنامج الحكومة الذي ركّز على التوازن المالي وضحى في سبيل ذلك بالمكاسب الاقتصادية والاجتماعية للمواطنين وغابت عن أهدافه العدالة الاجتماعية وتسبب في المزيد من المعاناة للمواطنين، جاءت سياسات الدولة خلال السنوات الأخيرة في هذه المحاور لتجسد على أرض الواقع السياسات المنفلتة في انفتاحها، حيث تتلاشى ملامح دولة الرعاية لتحلّ محلها دولة الجباية. "

الجودر: نهج التقدمي قدّم صورة رائعة للوحدة الوطنية

وابتدأ الأمين العام لجمعية الوسط العربي الإسلامي راشد الجودر كلمة الجمعية بمخاطبة الحاضرين قائلاً: «تحية لكم جميعاً أيها المشاركون في هذا المؤتمر العام العاشر للمنبر التقدمي، ولضيوفه الأفاضل، تحية للحاضرين منكم، وللغائبين من قيادات تاريخية ومناضلين شرفاء وشهداء غيّبهم الموت عنا، ولم يغيب أسماؤهم، ولا أنسانا عطاءهم وتضحياتهم، فهم برغم الغياب حاضرون بيننا.

وأضاف الجودر: «إن الحديث عن المنبر التقدمي باعتباره مجرد جمعية سياسية، مع ما يمتلكه من تجربة سياسية طويلة، وخبرة نضالية متجذرة، وكوادر مثقفة واعية، إنما هو تقليل من شأنه وقيمته، وظلماً لتاريخه الممتد لحوالي سبعة عقود، بنضالاته وتضحياته الجسام، وبرموزه الوطنية، من أفنوا السنين الطوال من أعمارهم في المعتقلات المنافي. وعليه فإن الحديث عن المنبر التقدمي إنما هو حديث عن صرح من صروح النضال في هذا الوطن، بقياداته التاريخية المحفورة أسماءهم في ذاكرتنا وفي قلوبنا، والكثير من المناضلين الأوفياء ومن الشهداء».

كما نوّه الجودر إلى أن «المنبر التقدمي في عطائه للوطن بكل فئاته وطبقاته، وفي مقدمتها الطبقة العاملة، قدّم الكثير من الانجازات والتضحيات عبر تاريخه الطويل، مما يصعب حصره في هذه الدقائق القليلة، ولايزال على طريق العطاء يقدّم المزيد، وهو في تمسكه بالمبادئ والقيم والأهداف، وفي صموده في وجه كل التحديات والصعوبات، شكل إنموذجاً يحتذى به.

وقد تجربة للأجيال تستحق الوقوف عندها بمزيد من الدراسة والتحليل، ورسم طريقاً للنضال والعمل السياسي اتسم بالواقعية، والحنكة السياسية، والقدرة على تجاوز كل الأزمات والتحديات التي واجهها هذا الوطن، وفي ممارساته قدّم صورة من أروع الصور للوحدة الوطنية، ويكفينا استحضار أسماء الكثيرين من قياداته ومناضليه خلال العقود السبعة الماضية، والذين تجاوزوا انتماءاتهم الطائفية ليكونوا رموزاً للوحدة الوطنية».

المقهوي: تراجع المكتسبات الاجتماعية أثّر على الوضع العمالي

من جانبه قال يوسف المقهوي نائب الأمين العام للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين إن مؤتمر التقدمي العاشر «ينعقد في ظروف سياسية اقتصادية متغيرة ومعقدة في جميع أنحاء العالم بداية من حرب أوكرانيا مروراً بالمتغيرات والتحديات التي طرأت على الوضع الإقليمي نتيجة السياسة الأمريكية المتغيرة، ولهيب المتغيرات في الوطن العربي تحديداً مع انطلاق معركة طوفان الأقصى في 7 أكتوبر والتي راح ضحيتها أكثر من 60 ألف شهيد ونزوح أكثر من مليوني فلسطيني».

وأضاف المقهوي: «إن البحرين وبسبب تقلبات الوضع السياسي والاقتصادي العالميين تعاني من الكثير من المعوقات التي تعيق النهوض بالعملية الاقتصادية إضافة إلى التراجع الكبير في المكتسبات الاجتماعية والحريات السياسية والنقابية، وقد أثّر كل ذلك على الوضع العمالي والمكتسبات العمالية، إن العمل النقابي يواجه الكثير من التحديات خاصة بعد أحداث 2011 والتي كانت نقطة تحوّل كبيرة على جميع الأصعدة سياسياً واقتصادياً من فصل وإقصاء وتمييز ولم يكن العمل النقابي سواء بشكل مباشر أو غير مباشر بمنأى عن هذا التحول والتهميش.

واكّد على أن «الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين أشار إلى ضرورة إنشاء مجلس أعلى للأجور على غرار الدول المتقدمة مهمته وضع معايير الأجور من خلال تحديد الحد الأدنى

الجودر: عبر تاريخه قدّم التقدمي الكثير من التضحيات ورسم طريقاً اتسم بالحنكة السياسية

المقهوي: تواجه البحرين تراجعاً في المكتسبات الاجتماعية والحريات السياسية والنقابية

للأجور الذي يكفي لتلبية الاحتياجات الأساسية للعمال وأسرهم، مراعاة مستويات المعيشة، التحديث الدوري بما يتلائم والتضخم الاقتصادي المتنامي، تقليل الفجوة بين الدخول، ضمان حصول العمال ذوي الدخل المنخفض على أجور عادلة، تعزيز الاستقرار الاقتصادي من خلال تحفيز الاستهلاك ومحاربة الفقر، تحسين ظروف العمل من خلال ضمان الأجور العادلة، وتعزيز الحوار الاجتماعي من خلال التفاوض، تعزيز الشفافية ودعم الفئات المهمشة».

رسائل تحيّة من الأحزاب الشقيقة

وتلقى المؤتمر العاشر عدداً من رسائل التحية الموجهة من الأحزاب الشيوعية والتقدمية في الوطن العربي والعالم، من أبرزها تحية أشقائنا في الحركة التقدمية الكويتية، التي اكّدت أن العلاقات بين الحزبين الكويتي والبحريني تستند إلى تاريخ وتراث وتقاليد رفاقية مشتركة تعززها العلاقات الأخوية المتميزة.

وعبّرت الحركة عن التقدير العالي " للتاريخ النضالي للحركة الوطنية البحرينية وفى مقدمتها جبهة التحرير الوطني ومناضلوها وتضحياتهم». كما أشارت إلى التحديات المشتركة التي تواجه شعوب الخليج «على مستويات عدة من بينها ما يتصل بالحريات العامة وتحقيق المشاركة في إدارة شؤون بلدانها، وإلى "وجوب التصدي للمخططات الإمبريالية الخبيثة التي تستهدف منطقتنا وعلى رأسها القضية الفلسطينية كقضية مركزية لشعوبنا».

ومن فلسطين تلقى المؤتمر تحيات من كلّ من أمين عام حزب الشعب الفلسطيني الرفيق بسام الصالحي، ومن المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وكذلك من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ومن الأمين العام لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الدكتور احمد مجدلاني، وأشادت هذه الرسائل بوقفة «التقدمي» بكل وعي وإيمان مع كفاح الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة من منطلق أنها قضية تحرر وطني، وبموقفه الرافض للتطبيع وإسناد أهلنا في غزة في مواجهة العدوان الصهيوني.

ومن الأردن تلقى المؤتمر العاشر للتقدمي تحية من الحزب الشيوعي الأردني، أكّد فيها على الأهمية الاستثنائية لعلاقات التضامن الكفاحي مع الأحزاب اليسارية والتقدمية في العالم العربي الذين تجمعهم مرجعية فكرية، قيم إنسانية، وأهداف نبيلة وسامية، كما تلقى المؤتمر تحية من أمين عام حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي الأردني الدكتور سعيد ذياب، أكّد فيها أن نضال المنبر التقدمي والقوى التقدمية البحرينية في مواجهة التطبيع والارتقاء بالتوجهات الاقتصادية والاجتماعية وتعزيز الحريات يحظى باهتمام حزب الوحدة الشعبية الديمقراطي.

أما من مصر فقد حيا مؤتمرنا العاشر المكتب السياسي للحزب الشيوعي المصري في رسالة أشاد فيها بتمسك التقدمي بضرورة تحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، ورفضه التطبيع مع العدو الصهيوني، ومن مصر أيضاً تلقى المؤتمر تحية أخرى من أمين عام الحزب الاشتراكي المصري الرفيق احمد بهاء الدين شعبان أعرب فيها عن تقديره للتقدمي وأهمية انعقاد مؤتمره في هذا التوقيت بالذات الذي تتعاظم فيه التحديات والتهديدات المحيطة ببلداننا وأوطاننا، وتتصاعد مخططات التقسيم وإعادة الخرائط.

من جانبه قال الرفيق حنا غريب الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني «إن نضال المنبر التقدمي شكّل طوال سنوات عمله معلماً بارزاً في العمل الوطني والديمقراطية البحرين، وضمن صفوف الحركة التقدمية واليسارية مما جعله تنظيماً معتبراً ومحترماً في صفوف هذه الحركة، مبدياً كل التقدير لمواقف التقدمي لما عبر من مواقف تضامنية مع الشعبين اللبناني والفلسطيني.

كما عبّر الحزب الشيوعي العراقي عن تمنياته للتقدمي بالنجاح والتوفيق في معركة الحرية والديمقراطية، مع الإشارة إلى أن المؤتمر ينعقد في ظروف استثنائية واوضاع سياسية صعبة ومعقدة تمر فيها المنطقة العربية بسبب غطرسة الصهيونية وعدوانها الهمجي، وهي التمنيات التي عبرّ عنها أيضاً الرفاق في الحزب الشيوعي السوري الموحد، وكذلك الأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني الدكتور عمر السقاف، محيين مسيرة التقدمي النضالية.

ومن المغرب عبّرت الأمانة العامة لحزب التقدم والاشتراكية المغربي عن ثقتها بان المؤتمر سيشكل فرصة مهمة تقوي عمل المنبر التقدمي الدؤوب في الدفاع عن الديمقراطية ومصالح الطبقات الشعبية، ومن المغرب أيضاً تلقى المؤتمر تحية من فيدرالية اليسار التقدمي أبدت فيها تمنياتها بنجاحه وتطلعها بأن يشكل نقلة نوعية في المسار الكفاحي للتقدمي.

أما من تركيا فقد أكّد الحزب الشيوعي التركي والكردستاني وقوفه مع التقدمي في النضال المشترك من اجل تحرير الطبقة العاملة، مبدياً تطلعه بأن يكون هذا المؤتمر محفزاً للقوة المتجددة وللعمل وللوضوح السياسي.

إقرار التقارير المقدّمة وانتخاب لجنة مركزية جديدة

وقد أقرّ المؤتمر التقريرين التنظيمي والسياسي المقدمين إليه من اللجنة المركزية السابقة، كما أقرّ التقرير المالي المقدّم إليه، قبل أن ينتقل إلى انتخاب لجنة مركزية جديدة، لقيادة عمل التقدمي في المرحلة التالية حتى انعقاد المؤتمر العام القادم بعد ثلاث سنوات.

اللجنة المركزية للتقدمي تنتخب الأمين العام والمكتب السياسي

قد عقدت اللجنة المركزية اجتماعها الأول بعد انتخابها في المؤتمر العام، حيث تمّت تزكية المحامي عادل المتروك أميناً عاماً، وفاضل الحليبي نائباً للأمين العام للشؤون السياسية، ومحمد سلمان نائباً للشؤون التنظيمية. كما تمّ انتخاب رؤساء القطاعات واللجان المختلفة، في خطوة تهدف إلى تعزيز العمل التنظيمي داخل التقدمي. وأكّد الأمين العام الالتزام بتفعيل دور التقدمي في المشهد السياسي والوطني، وتعزيز العمل الجماعي لتحقيق الأهداف المرجوة في المرحلة المقبلة.

تكريم المناضل الكبير محمد حسين نصر الله

كرّم المؤتمر العاشر للتقدمي المناضل الكبير والشجاع الرفيق الأستاذ محمد نصر الله، تقديراً لتاريخه الحزبي والنضالي، وإسهاماته الكبيرة والمتعددة في مسيرة جبهة التحرير الوطني، والمنبر التقدمي، فاصبح نموذجاً لمناضلي الجبهة والتقدمي بما عرف عنه من صلابة في النضال ووفاء لتنظيمه وشعبه، وما قدّمه من تضحيات كبيرة طوال مسيرته الكفاحية التي قضى سنوات طويلة منها في السجن في مراحل مختلفة من حياته.

وقدّم الرفيق عادل المتروك الأمين العام درع التكريم للمناضل نصر الله، وسط عاصفة من التصفيق من الحضور وفاءاً وتقديراً لرفيقنا العزيز ولتضحياته وإخلاصه للقضية التي آمن بها وكّرس حياته من أجلها منذ شبابه حتى اليوم، متمنين له الصحة وطول العمر ويبقى رمزاً ملهماً لرفاقه وللأجيال الجديدة في الصدق والإخلاص والإيثار والتضحية.

محسن، الذي أبلى حسناً.. ورحل

عبد الجليل النعيمي

كنتُ في العقد الثاني من عمري عندما قدُمتُ للدراسة في الاتحاد السوفياتي ضمن مجموعة كبيرة نسبيا من المستجدين. التقينا هناك كوكبة من الطلاب الأوائل الذين سبقونا بأعوام، والذين بذلوا الكثير في تعليمنا اللغة والعيش والثقافة والفكر والقيم في وطن الإشتراكية الأول. وتعلمنا دروسا مفيدة من قصصهم النضالية الشخصية قبل الحياة الجامعية. لكن ارتباطاً وثيقاً شدني بإثنين : عبد العزيز أحمد حسين، المحاسب الشهير فيما بعد، فهو الوحيد الذي ربطتني معه علاقة صداقة ونضال سابقة، وفقيدنا الغالي محسن حميد مرهون، الذي يكبرني بعقد من السنوات تقريبا، وعرفته هناك لأول مرة، هو وكل باقي الطلبة القدامى.

اكتشفت بعد حين أنني لست الوحيد من الطلبة الجدد الذي انشد إلى محسن بحميمية. كانت جاذبيته في بساطته اللامتناهية ومرحه الدائم وحبه للحياة التي يزج بك لخوض مغامراتها واكتشاف أسرارها .. من داخل العائلة الروسية إلى المجتمع السوفياتي المتعدد القوميات المتآخية، واستعداده الدائم لمساعدتك وانتشالك من أي ورطة، ربما يكون قد هيأها هو لك، لتتعلم منها شيئا مفيدا.

من خالط محسن عرفه صعب المراس، صلب العود، وعرفه أيضا جياش العاطفة، إن فرح جلجل ضحكاً وإن تأثر ذرف دمعاً. قليل الكتابة، لكن إن كتب، رمى في النقطة، كما يقول التعبير الروسي.

في المناقشات هو صاحب الصوت الأعلى، لكنه الأَولى بتنفيذ المهمات الصعبة. سرعان ما يُعْديك باتِّقاد نشاطه، سواء كان المسرح عملاً سياسيا أو نشاطا فكريا أو فعالية ترفيهية أو مؤتمرا طلابيا أو حزبيا، محفلا بحرينيا، عربيا أو دوليا. بطريقته الخاصة، التي لا يمتلكها أي أحد، يوصل قضية شعبه ووطنه إلى ممثلي مختلف شعوب العالم ويجسد تضامن شعبنا مع قضاياهم العادلة، ويكسب ثقتهم وصداقتهم. كان في عيون منظمات الأحزاب الشيوعية والعمالية الشقيقة والتقدمية الأخرى المتواجدة في الاتحاد السوفياتي نموذج المناضل الأممي الذي لا تأسره حدود وطنية أو قومية.

بعد أن تخرج محاميا عاد إلى وطنه وافترقنا لسنوات طويلة، حتى التقيته في السبعينات نائبا للشعب في أول برلمان في البحرين ضمن «كتلة الشعب» التي دعمتها جبهة التحرير الوطني. كانت الحركة الطلابية جزءا حيويا من الحراك المجتمعي النشط الذي شهدته بلادنا في تلك الحقبة. ولكوني نائب رئيس الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في الخارج وجدت في رفيقي محسن خير داعم لنشاط الاتحاد الصيفي في الداخل، ولدور الاتحاد المقرِر إلى جانب وزارة التربية والتعليم في قبول وتوزيع البعثات الدراسية والطلبة المستجدين على جامعات العالم. وبدعوة منه حضرت إحدى جلسات المجلس الوطني التي ناقشت عددا من القضايا الساخنة. وبقدر أكبر كان محسن سنداً قويا لنضالات الحركة العمالية والنقابية ومدافعا أمينا عن قضاياها أمام المحاكم وفي داخل البرلمان. كما ساهم إلى جانب رفاقه في وضع مسودة قانون العمل وأرسل منها نسخة لنا في الخارج لأخذ مشورة كبار المختصين في هذا المجال. وبجرأة كبيرة طرح وزملاؤه النواب قضية المعتقلين

السياسيين في أول جلسة للمجلس الوطني، كما طرحوا مسألة القواعد العسكرية الأجنبية، إضافة إلى قضايا كبيرة أخرى، انتهاء بالوقوف في وجه مشروع قانون أمن الدولة السيئ الصيت.

بعد حل البرلمان وصدور قانون أمن الدولة جاب النائب المحامي محسن مرهون عددا من بلدان العالم ليشرح قضية شعبه وكسب التأييد لها. وقد حضر المؤتمر العام لمنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا الذي عقد حينها في مدينة لينينجراد السوفياتية، والذي أقر السابع من ديسمبر يوميا عالميا يحتفل به كل عام للتضامن مع شعب البحرين من أجل عودة الديمقراطية. واكتسبت محطته الأخيرة في الكويت أبعادا سياسيا إقليمية أبرزت محنة الديمقراطية في بلادنا بعد حل المجلس الوطني، وحين عاد إلى البحرين ألقي القبض عليه في المطار، ليبقى في السجن خمس سنوات متواصلة.

عندما كنت في الخارج كان الاتصال الدائم بالفقيدين الغاليين أحمد الشملان ومحسن مرهون يوفر مادة غنية وحيَّة للمساهمة في المؤتمرات الدولية والمقابلات الصحفية والإذاعية. وأذكر من بينها مقابلة هامة في مبنى البوش هاوس لهيئة الإذاعة البريطانية في لندن مع ممثلي الحركة الوطنية البحرينية، حيث اتصلتُ وتحدث الوفد مع الرفيقين الشملان ومرهون قبيل إجراء المقابلة، والتي كانت ثرية جدا بفضل ما زوَّدانا به في تلك المكالمة.

ومن جديد جمعتني الحياة مع رفيق الدرب محسن على أرض الوطن مع بداية الإصلاحات السياسية. وصهر الواقع الجديد مناضلي جتوب في الداخل بكل خبراتهم التنظيمية والسياسية في العمل السري، ونحن الذين عملنا امتدادا متواضعا لهم في الخارج، بما تعلمناه من تجارب الأحزاب الشيوعية والعمالية العالمية والتقدمية الأخرى والمنظمات الدولية المتخصصة في مختلف المجالات، لنخرج جميعا برؤيتنا بمستقبل العمل النضالي في ظروف الإصلاح والعلنية.

وكان العمل الوطني اليساري في إطار جبهوي من أهم شواغلنا الأساسية. وكان منزل الرفيق محسن مرهون مكانا لاجتماعات النقاشات المستفيضة للمشروعات الأولية بين قوى التيار الوطني الديمقراطي. بعدها كلَّفنا الرفاق، محسن وأنا إضافة إلى رفيقة ثالثة، بشرف تمثيلهم في اللجنة التحضيرية لتأسيس جمعية العمل الوطني الديمقراطي حيث ضمت اللجنة أيضا ممثلين عن الجبهة الشعبية. وللأسف حال الخلط بين مفهومي الحزبي والجبهوي دون استمرار جمعية العمل الوطني الديمقراطي كصيغة جبهوية.

وبما أن حياتنا لا تقبل الفراغ، فقد نشط رفاقنا من أجل تأسيس المنبر التقدمي، وكان للرفيق محسن مرهون بتاريخه وخبراته دور بارز في بلورة التنظيم الوليد كامتداد لجبهة التحرير الوطني، ولعب ذات الدور في أول قيادة تشكلت بعد التأسيس. وبخبراته البرلمانية السابقة ونضالاته المشرفة خلالها ساهم الرفيق محسن في بلورة الموقف من المشاركة في العمل البرلماني، ثم وضع البرنامج السياسي وممارسة العمل التنظيمي لهذه المشاركة استمرارا لخدمة قضية شعبنا في الحرية والديمقراطية والتقدم الاجتماعي والسلام.

نم قرير العين، أيها الرفيق الغالي أبا زويا. ففي مسيرتك الكفاحية المضيئة سيجد رفاقك على الدوام هدْيا ودافعا لمزيد من التضحية في النضال لتحقيق الأهدف السامية التي نذرت نفسك من أجلها.

كلمة وفاء وانحناء لشريكة حياتك ورفيقة دربك الإنسانة الكبيرة أم زويا، فتحية سلوم التي شرفتنا جميعا بمواقفها البطولية في السراء والضراء.

محسن مرهون والفراق الصعب

حميد الملا

ونحن في بداية العام من هذه السنة، كل يوم يمرّ يحمل نذيراً جديداً، ويضيف خوفاً جديداً في القلوب وفي النفوس، وهمّاً ثقيلاً أقرب إلى الفاجعة عند سماعك عن رحيل من تُحب، فما بالك أن يكون قريباً وصديقاً ورفيقاً، كسماع خبر مرّ علينا كالصاعقة، رحيل المناضل والأستاذ المستشار محسن مرهون والذي رحل عن دنيانا في الخامس من مارس ٢٠٢٥.

الأذهان تشتعل بعشرات الأسئلة عما يجب أن نفعله تجاه الموت، لكن الجواب واحد، لا رادّ له، عندما يحين أجل أي كائن يصبح الموت حتميًا، لكن تبقى قوة الحياة هي الأقوى والأمضى.إنه الموت، الموت مرة أخرى الذي حين يجيء لا يترك بيتاً دون أن يدخله، وعائلة الا ويُخلّف في قلب كل فرد منها ألماً وحسرة ولوعة وغصة ودموعاً.

لا أحد يحب أن يرى الحزن في وجوه أقارب من يحبهم، لأنّها تولد في النفوس نوعاً لا يُنسى من الألم المضني، يوقظ في الأذهان صوراً لا نهاية لها من التذكر الدائم بالفقدان. إنها المشاعر نفسها تتكرر مرة أخرى أمام عيوننا، كم فقدنا من الرفاق ومن الأصدقاء ومن الأحبة؟ ولكن، أليس هي مشيئة الحياة وطبيعة الكون وسيرورة الطبيعة. حتى الكلمات تبدو باهتة عاجزة، ولا تعبّر عن أي شيء أمام هذه الفقدانات المستمرة، إزاء ذلك نلجأ إلى الصمت، ولا شيء غير الصمت، عدا تلك النظرة الثقيلة الحافلة بالحزن، والمرتسمة على الوجوه المتسائلة عن كل ذلك.

أبا زويا، لك أن تتركنا وتذهب إلى رفاقك الراحلين، لك أن تهجر شُطآن أحبابك ويبقى الوطن يبكيك لتظلّ حكاياتك في الوجدان، تبقيك بيننا لأنها تولد في نفوس من عرفك تاريخاً من النضال والمثابرة على كل المستويات، النضالية والفكرية والسياسية والقانونية، فأنت في مجال اختصاصك كنت مرجعاً موثوقاً عن أي تساؤل.

أحاديثك التي لا تُملّ عن كتب قرأتها توقد في الأذهان صوراً لا نهاية لها عن فهمك للتاريخ ومعرفتك الواسعة الدقيقة بالوقائع والأحداث السياسية من خلال الخبرة التي راكمتها على مدار السنين سواء في العمل السياسي أو البرلماني أو القانوني وأنت الفائز بجدارة بعضوية المجلس الوطني في العام 1973، ودفعت ضريبة النضال ضد الظلم والطغيان خمس سنوات من السجن بدءاً من العام 1975.

لطالما اعتبرت القراءة واجباً علينا أن نقوم به، فالكلمة المكتوبة تهبنا أسرار الروح والاستسلام لنزوات الخيال، وأن الكتب ليست سوى مرآة نرى فيها ما نمتلكه في دواخلنا، فكنت قارئاً جاداً في معرفة حقائق الكون وأسرار الطبيعة، وكانت لك مقولة ترددها دوماً على مسامعنا، «اليقين مريح، لكنّنا لا نتعلّم إلاّ بالشكّ»، فأخذت أتعلّم شيئاً جديداً كلّ يوم منك، وليس غريبًا عليك أن تكون موسوعي المعرفة، فمكتبتك زاخرة بمجلدات الأدب والشعر والفلسفة والتاريخ والقانون.

أن يموت الإنسان في الوقت الذي أنهى كل ما يجب أن يفعله في هذه الحياة، وأن يغادر الدنيا بهدوء وسلام، إنه لشيء محمود، فقد قمت يا أبا زويا بواجبك على أكمل وجه، فقدّمت لأسرتك ولمجتمعك جلّ ما تملك، ففزت بمحبة الناس وبعرفانهم، فأنت السيرة والسيرة أنت، وقفت شامخاً كالطود مدافعاً عن العمال والكادحين، خطيباً مفوّهاً، وأبليت بلاءاً حسناً في المجلس الوطني المنحل، ورفعت راية النضال عالياً خفاقة، فكنت خير مدافع عن الوطن بكل أطيافه. كنت تحلم طويلاً أن تبني شيئاً عادلاً في هذه الرمال القاسية التي لا تنبت فيها الاّ السيلُ من الأحقاد والضغينة والطائفية البغيضة، فغيبوك خلف القضبان فوجدت الرفاق في انتظارك، متلهفين لسماع حكاياتك، فما كان من الشهيد سعيد العويناتي إلا وأن أهدى إليك قصيدة (إلى زويا) عرفاناً بدورك ومعرفة بصنيعك وتقديراً ومحبّة، فمن الصعب ألاّ يكنّ المرء المودة لك.

كان بيتك مكاناً جامعاً للقادمين من المنفى مهيأً لهم الظروف ومساعداً لهم في الحصول على ما يحتاجونه بعد هذا الغياب الطويل عن البحرين، فكنت خير معين وخير رفيق. كما أن الرفاق من السعودية والكويت كانوا على علاقة مستمرة معك حتى آخر أيامك، فكنت حلقة الوصل بيننا وبين هذه النخبة من الرفاق الخليجيين. ولا أنسى الزملاء من السودان ومصر والعراق الذين يأتون إليك أيضاً في زيارات عديدة، فكنت مضيافاً، شهماً ونبيلاً في استقبالك لهم.

كنت يا صاحبي وفي خضم معاركنا النقاشية، لا تترك الأشياء في زاوية المبهم أو البين بين، صادقاً مع نفسك والآخرين حتى ولو أغاظهم ذلك، فتقول إنّ الحياة تستحق أن تُعاش، وفيها ما يمكن الالتصاق به وما يمكن الدفاع عنه من أفكار، حتى لو لم تعجب الآخرين. في النقاش تتسلّح بالواقع للذود عن أفكارك فترسم لنا صوراً عديدة تبلورها أحياناً في وقائع بسيطة، قابلة للفهم فتقول بأنه ما يزال في هذا العالم متسعاً لشيء اسمه الأمل. الأجدى بنا التعلق بالأمل في أحلك الظروف الصعبة، وحتى عندما نوشك على أن نخسره نهائيّاً نُعيد ابتداعه حتى نبقى على قيد الأمل.

وانا أكتب عنك أشعر بالغياب الذي استحضره الآن، استحضرك ليس بصفتك صديقاً جميلاً فقط، بل أكثر من ذلك. كنت قريباً من الروح، فأنت أكثر من عاشرته من الأهل والأصدقاء، ألجأ إليه وتلوذ إليّ في كل المشاكل التي تواجه كلانا، فلطالما اعتقد كل واحد منا بأنه جدير بصداقة الآخر مؤتمناً على أسراره، حافظاً لها. كانت الصداقة والأخوة التي تربطني بمحسن بمثابة خشبة خلاص، فلطالما نهلت منه جرعة الثقة ورباطة الجأش والشجاعة التي أحتاجها. وغداة لقاءاتنا، كنت أنصرف إلى أشغالي تحدوني رغبة جامحة بالنجاح.

فكرتُ منذ رحيلك بكل الوقائع التي قمت بتجميعها في مخيلتي، فوجدت أن بعض همومك يا أبا زويا تلتقي ببعض هواجسي الدفينة، فنحن نترقب الأحداث نفسها بالرغم من أننا لا نملك بالضرورة القراءة عينها للمؤشرات، وكنت أحدس بأن هناك شيئاً ما في تحسسك للأمور يبعدك عن الأفكار التي تتوخى الإجماع، فقد كان الماضي الذي عشته والحياة الصعبة التي كابدتها جزءاً من الطقوس التي تبدأ بها أحاديثك والوقود الذي يغذي أحاديثنا لاحقاً عن كل ما يخطر على البال من أحداث، تستحضر زماناً بعيداً كنت فيه صبياً وشاباً طموحاً يسابق الزمن، رغم أن كلامك في آخر لقاء لنا لم يعبّر عما عهدته فيك من حماس فكري، وإنما عن قلق وشعور طارئ، فأحسست بشيء ما قد تغيّر وتبدّل.

غيابك يا أبا زويا خسارة قاسية وضربة موجعة، ومع ذلك لا نملك في النهاية قدراً آخر، إلاّ قدر الحياة، على قسوته، فوحدها المرارة كفيلة بهزيمة الإنسان، وكما علمتنا نأبى أن نخضع أو ننكسر أو ننهزم، فالموت وإن فرّق الأجساد، لكنه لا يستطيع محو الذكريات ولا إنهاء الحب الذي يسكن القلوب، فليرحمك الله يا أبا زويا، والصبر الجميل لأم زويا وزويا وزين ولكلّ العائلة والأحبّة على هذا الفقدان.

(قف)

رحيل مناضل كبير

في كتابه «الإنسان موقف» يقول محمود أمين العالم، إن الإنسان في جوهره موقف. إنه ليس مجرد إشباع لرغبة، أو استجابة لمؤثر .. وإنما هو كذلك – في جوهره – إضافة عبقرية خلاقة إلى الحياة، تاريخ يتدفق صاعدًا، يعمل ويعاني، ويكتشف ويتخطى ويجدد ويبدع. حياتنا الإنسانية لا يصنعها فرد، وإنما تصنعها جموع من الناس، ينسجونها ويطورونها وينقلونها إلى مراحلها التاريخية الصاعدة، بأعمالهم ومعاناتهم وتضحياتهم وإرادتهم المجاهدة.

فهد المضحكي

ولكن حياتنا الإنسانية كذلك يصنعها الفرد الذي يحمل عبقرية الجماعة، يحسن الإنصات إلى نبضاتها، يحسن اكتشاف إرهاصاتها الخلاقة، يحسن التعبير عن حكمتهما العملية، والتبشير بالجديد المتخلق فيها، والنضال من أجله باسم الناس جميعًا. وقد يتميز هذا الفرد ويبرز، وقد يظل بين الناس مطمور الاسم، مجهول الفعل، رغم عظمته الإنسانية التي لا حد لها. وتاريخنا السياسي والإنساني، حافل بالكثير من الأسماء اللامعة.

في بلادنا، كثيرة هي الشخصيات الوطنية اللامعة، التي تركت بصماتها على مسيرة الكفاح الوطني وذلك من أجل الاستقلال من نير الاستعمار البريطاني، وبناء الدولة الوطنية على أسس ديمقراطية يتساوى فيها الجميع في ظل سيادة القانون ونزاهة القضاء واستقلاليته، ومن بين تلك الشخصيات المحامي والمناضل محسن مرهون (أبو زويا)، الذي برحيله فقدت الحركة الوطنية والتقدمية قامة سياسية، ومناضلًا صادقًا أمضى جلّ حياته في خدمة قضايا الوطن وقيم العدالة والحرية والكرامة الإنسانية والتقدم.

كان كالسنديانة الصلبة الضاربة بجذورها في تربتها الوطنية المشرقة، لا يمكن أن ينحني أمام عواصف القمع والاستبداد، بل كلما اشتدت الصعوبات زادته صلابة ووعيًا. ولهذا كان الفقيد أحد النماذج الوطنية اليسارية المخلصة الملتزمة بالقضايا القومية والأممية والمتجددة أفقًا إنسانيًا.

محسن مرهون مع المناضل الراحل علي دويغر

.. مع المحامي حسن رضي

بالفعل، كان مناضلًا من الطراز الرفيع، متحررًا من قيود الإنغلاق والتعصب، عاشقًا للحرية والحقيقة، جسورًا في مواقفه داخل السجن وخارجه، محبًا لهذه الأرض الطيبة التي أنجبت مناضلين ومناضلات وشهداء ضحوا بحياتهم في ملحمة النضال الوطني البطولية فداءً للوطن وقضايا الإنسان.

عندما كان عضوًا في المجلس الوطني عام 1973 – كأحد أعضاء كتلة الشعب – تميز بأداء برلماني جدير بالثناء، وعلى الأخص على صعيد ما يعرض ويناقش من مقترحات ومشروعات قوانين، وهو ما ينطبق أيضًا على أداء بقية أعضاء الكتلة، التي لعبت دورًا بارزًا في الدفاع عن مطالب الكادحين والجماهير الشعبية، ومواجهة المشاريع المقيّدة للحريات، وتفشي الفساد والرشوة والمحسوبية في أجهزة الدولة، والحفاظ على ثروات البلاد، والحدّ من نشاط الاحتكارات الأجنبية، وتصفية الوجود العسكري الإمبريالي، ورفض التدخلات الأجنبية في شئون البلاد الداخلية.

وتبقى مسيرة "أبو زويا" ناصعة بيضاء حاضرة في الذاكرة والوجدان. كلّ العزاء والصبر لعائلته الكريمة ورفاق الدرب.

الميزانية والمبادرات الـ 12 .. ونواقيس الإنذار

يبدو أننا سنجد أنفسنا مضطرين، من بعد، الى التأكيد على البديهيات. هذا ما نشعر به عند الحديث عن الميزانية العامة الجديدة للدولة ٢٠٢٥ - ٢٠٢٦، بعيداً عن الاعتبارات النظرية التى لا مستقبل لها، فالميزانية التى باتت موضع نقاش بين الحكومة والسلطة التشريعية تضمنت ١٢ مبادرة أعلنت عنها الحكومة تحت عنوان "التوازن المالى"، هدفها التعافى الاقتصادى، وتحقيق فائض فى الميزانية، وقيل الكثير من الكلام الجميل تحت عناوين مختلفة، ووجدنا من بشّرنا أنه بهذه المبادرات سيتم تحقيق فائض بمبلغ يصل ٥ ملايين دينار نهاية السنة الحالية و٢٥ مليون دينار بنهاية السنة القادمة عوضاً ديّن عام بلغ رصيده ١٧,٩ مليار دينار، وفوائد مترتبة عليه بلغت ٨٤٣ مليون دينار على ذمّة البيانات الخاصة بالحساب الختامي للدولة للسنة المالية المنتهية فى ٣١ ديسمبر ٢٠٢٣.

خليل يوسف

نتوقف عندما أُطلق عليه بالمبادرات التى أثارت الكثير من الهواجس وبواعث القلق خاصة فى أوساط ذوي الدخل "المهدود"، وبدأنا نقرأ عن سلسلة من الاجتماعات التى ستتوالى بين وفد حكومى والسلطة التشريعية لمعاينة مضمون تلك المبادرات والاتفاق عليها ومن ثم تمريرها وإقرارها لتنتقل إلى واقع ملموس فى الحياة اليومية للمواطنين، ومن المبكر، حتى الآن على الأقل، التوقع ما ستؤول إليه هذه الاجتماعات من توافقات، ولكن من الواضح أن السجال الدائر حالياً حول الميزانية يقترن بكثير من التساؤلات والهواجس التى لم تتوقف حول تفاصيل تلك المبادرات والتوجهات التى يجرى النقاش العام حولها، خاصة وأنه لا يغيب عن البال أنه قد تكون هناك عناصر غامضة مخبأة فى التفاصيل، وحقاً قيل إن الشيطان يكمن فى التفاصيل.

ليس من المبالغة القول إن السجال الدائر حول المبادرات يدق نواقيس إنذار مبكر، خاصة أمام تلميحات من مسؤولين وأكثر من نائب مع الأسف تشير إلى أنه لا مفرّ من إقرار هذه المبادرات، وهناك من قال بما معناه "إن اي تراخ فى تبنى هذه المبادرات من شأنه أن يعرض جهود التنقيةً المالية التى تبذل والمشاريع والسياسات الهادفة لمواجهة التحديات الكبيرة والتغلب عليها للضعف وعدم تحقيقها للأهداف المنشودة».

وبالرغم مما نشر فى العاشر من مارس 2025 من نتائج اجتماع السلطتين التنفيذية والتشريعية للتشاور حول موضوع الميزانية وإعلان تأكيدات الفريق الحكومي على ما ستحققه المبادرات من نتائج إيجابية على وضع الميزانية والاقتصاد وأفراد المجتمع ومن ثم مصلحة الوطن والمواطن، وذلك من خلال "الحفاظ على النمو الاقتصادى الإيجابي بالتوازى مع تحقيق مستهدفات الاستدامة المالية، لضمان تعزيز مسيرة التنمية والتطوير واستمرارية خلق الفرص امام المواطنين، ورفع كفاءة الدعم لمستحقيه من المواطنين"، وبالرغم من استعراض جملة من الأولويات والمشاريع الخاصة بالوزارات والإدارات الحكومية المقترح إدراجها فى الميزانية، تظل الهواجس والمخاوف قائمة وفى عقول الناس الكثير من الحيرة والتساؤلات، بل وجدنا من يحذر من إقرار تلك المبادرات ومن سياسات مالية واقتصادية غير واقعية مرتقبة، وهنا يمكن الاكتفاء كمثال إلى موقف الجمعيات السياسية فى بيانها المشترك، ومن ضمنها المنبر التقدمى الذى عبرت فيه عن الرفض القاطع لكل ما يستهدف تحقيق فائض فى الميزانية، والاستدامة المالية إذا كانت ستزيد من الأعباء المالية على المواطنين ومن جيوبهم الضعيفة، وهو نهج أكدت هذه الجمعيات على انه "لا يمكن قبوله لكونه يعكس تغييب للعدالة الاجتماعية، ويثقل كاهل المواطن الذى يعاني أصلاً من أعباء الحياة اليومية، وأن التركيز على زيادة الرسوم والضرائب ورفع الأسعار هو بمثابة ضربة قاسية لاستقرار المواطن اقتصادياً واجتماعياً مما يفاقم الأزمات، ويُعقّد الأوضاع ويزيد من معاناة الشعب".

إنه تحذير فى محله خاصة فى ظل مصاعب موروثة دقيقة وصعبة داخلية وخارجية، وفى ضوء ما أوردته مؤخراً وكالة «فيتش» للتصنيف الإئتماني من تخفيض نظرتها المستقبلية للبحرين من مستقر إلى سلبية بسبب العجز الواسع المستمر فى ظل عبء الديون العالمية وفوائدها وفجوات الميزانية، هذه الديون التى تزيد نسبتها إلى الناتج المحلى الإجمالي عن الضعف ومن المتوقع أن ترتفع إلى 130٪ فى عام 2024، وهو تصنيف لم نجد مسؤولاً أو محللاً أو اقتصادياً فى اي جهة رسمية يتناوله او يشرح تفاصيله وأبعاده ..!

ان البنود المطروحة للمبادرات المذكورة وفقاً للمتداول تركز على زيادة الرسوم والضرائب، وتقليل الدعم وإن كان ذلك تحت مسميات وأهداف مراوغة، والمقترحات الاثنا عشر التى قدّمتها الحكومة إلى السلطة التشريعية والتى يُزعم أنها ستحقق التوازن المالى المنشود، وهى تتمثل فى رفع كفاءة المصروفات العامة، وتعديل سعر الغاز الطبيعي على الشركات والمصانع، تحرير أسعار الوقود والكهرباء والماء مع استمرار دعم المواطنين، استحداث رسوم على الانبعاثات الكربونية، فرض إيرادات على أرباح الشركات المحلية، زيادة إيرادات القيمة المضافة، زيادة الإيرادات الإنتقائية على الأغذية غير الصحية، وزيادة الإيرادات الانتقائية الحالية، استحداث رسوم لاستدامة البنية التحتية، تطبيق الضمان الصحي مع استحداث رسم التأمين الصحي للأجانب، فرض رسوم على الصرف الصحي دون المساس بالمسكن الأول للمواطنين، تنفيذ حزمة من مبادرات تنمية الإيرادات وانخفاض مصروفات فوائد الدين العام " ..! ، وهذا يعنى أن الحلول المطروحة من قبل الحكومة ترتكز على استحداث رسوم جديدة، وإعادة النظر فى الرسوم الحالية على خدمات مدعومة حالياً واهمها خدمات الكهرباء والماء.

وعلينا أن نتوقف أمام تصريح نشر لمصدر حكومى يؤكد على وجوب التوافق على تلك المبادرات، وكأنه يلمح إلى أنه ليس هناك خيارات أخرى لتحقيق فائض فى الميزانية لتقليل العجوزات والاحتياجات التمويلية وتفادى المخاطر المالية والنقدية، ولا ينسى ذلك المصدر التأكيد على معزوفة أن الهدف من كل المبادرات المطروحة هو رفع المستوى المعيشى للمواطن والأجيال القادمة، وهو تأكيد أثار الكثير من التساؤلات المصحوبة بعلامات تعجب كونه يتعالى على نتائج لا مفرّ منها بسبب تلك المبادرات، وكلّها تؤدى إلى إنهاك المواطن بشكل غير مسبوق دون أي إشارة إلى طرق أخرى لابد منها، لا تريد السلطة التنفيذية أن تسلكها مع أنها من خلالها يمكن استعادة شيئ من الأمل بوضع مستقر للمواطن، وكلها تمثل اهداف استراتيجية فى الصدارة منها – وهذه مجرد عناوين – حسن تصميم الأولويات، الخروج من حلقة المديونية التى تراكمت بشكل غير طبيعى، تطوير إدارة الديّن العام للخروج من هذه الحلقة المفرغة وتبعات الكلفة العالية للدين العام، التركيز على جهود التنقية المالية، مواجهات حازمة لكل أوجه الفساد والتجاوزات والإنفاق البذخي غير الضرورى، وإحياء مشروع إعادة هيكلة الجهاز الحكومى، وتعزيز القدرة التنافسية إلى الجسم الاقتصادى، وهذا يعنى زيادة مستوى الأداء فى

القطاعين العام والخاص، مع التأكيد على أهمية تحديد مفهوم الشراكة بين هذين القطاعين والتى تؤكد عليها رؤية البحرين الاقتصادية، ويكررها مسؤولون كثر بمناسبة ومن دون مناسبة.

لا شك أن الشراكة مطلوبة لأن حل المعادلة التنموية، ووضع التنمية المستقبلية على أسس ثابتة وراسخة يتطلبان جهوداً استثنائية ملقاة على عاتق الطرفين الحكومة والقطاع الخاص، فالجهود الإصلاحية لا تقع على طرف دون الآخر، فالحكومة عبر سياسات وتسهيلات وتشريعات داعمة ومحفزة، والقطاع الخاص من خلال زيادة الاستثمارات وتوفير فرص العمل للبحرينيين، لأن مكافحة البطالة لا تتم ما لم تقم نهضة استثمارية نوعية توفر فرص العمل لأبناء البحرين الذين يجب اعتبارهم الطرف الثالث فى التنمية، وهذا أمر، كأي أمر آخر يتصل بالميزانية والوضع المالى والاقتصادى لابد أن يستند إلى أرقام وإحصاءات صحيحة، واقتراحات منطقية، وقوانين مدروسة. وهنا نشدد على دور النواب، وكيفية تعاملهم مع الميزانية، فهم أمام امتحان، فكونهم شريك مع الحكومة فى المسؤولية أمر لا ينبغي ان يغيب عن بال الجميع .

إنطلاقاً من ذلك سنظل، نحن وغيرنا، نسأل كيف سيكون تعاطي النواب مع الميزانية العامة الجديدة ؟، وكيف ستكون مخرجات هذا الأداء؟، وهل سيحطّ التوافق الذى بُشرنا بين الحكومة والنواب رحاله على أرض الواقع، عبر التوافق على الأولويات، والحسابات التى لا تجعل المواطن العادى من فئة "مهدودى الدخل" يتجرع مرارة أية اجراءات اقتصادية قاسية فيما هو ينتظر ما يُحسن أوضاعه، ولا تجعل أي مواطن، أو متقاعد فى حالة قلق موجع، ولا تجعل ابن الوطن عاطلاً عن العمل، ولا صاحب العمل الصغير والكبير معاً وهو يضطر الى إعلان إفلاسه، أو يجرجر للمحاكم، لذلك يبقى المطلوب بوجه عام إجراءات وخطوات وسياسات لا تجعلنا ننشغل بالشكليات أو بخطط عامة وفضفاضة عن الغايات.

الميزانية يجب أن تكون مرتبطة بخطة مقنعة يتم التوافق عليها، ترمي إلى تغيير دينامية الحلقة المفرغة التى وقعت فيها مالية الدولة، والتى تتمثل فى دّين عام كبير يوّلد خدمة دين مرتفعة، تولّد عجزاً كبيراً فى الميزانية العامة، يؤدى حكماً إلى إضافة جديدة للدين العام، وهو الذى لا نجد مسؤولاً يتناوله ويسلط الضوء عليه ويحذر منه، ويطرح رؤية منطقية أو معالجات حصيفة ومدروسة لمواجهة هذا العبء الضاغط، ونحن نعتقد أن دينامية الحلقة المالية المفرغة يتم تخطيها بإسلوب إيجابي عندما يغدو المعدل السنوى لنمو الدّين العام أقل من المعدّل السنوى لنمو الاقتصاد الوطني، وشتان بين المعدلين فى الظروف والأوضاع الراهنة.

من الواضح أن هناك عدم اقتناع لدى المواطن للمعالجات المعلنة والإجراءات التى تتخذها الحكومة بما فى ذلك الرسوم والضرائب وتوجهات الخصخصة وغير ذلك، خاصة فى ظل اتساع قاعدة الكيانات الرسمية من هيئات ووزارات وبالذات تلك المتقاربة فى المهام والاختصاصات،

وتعيينات متواصلة على كل المستويات، وبشكل مثير للدهشة خاصة بالعودة إلى تصريحات كانت قد بشرتنا بإعادة هيكلة الإدارة الحكومية، وفى حجم الجهاز التنفيذى والإدارى، إذ بات من الملموس أن الأمور تسير بعكس ذلك تماماً، كما يمكن التذكير بالمصاريف التى تنفق على مشاريع وفعاليات ليس فقط لا تشكل أبسط ما يمكن أن يقال عنها بإنها لا تشكل أولويات، بل إنها تدخل ضمن ما يمكن أن يوصف بالعادات التبذيرية ذات الأكلاف العالية والتى تسبب وجعاً لا يطاق للفئات الفقيرة ومحدودة الدخل.

يبقى مهماً ونحن نتحدث عن الميزانية التأكيد على ثلاثة أمور، الأول أن تصميم الأولويات والمراحل التى لابد منها للوصول إلى الأهداف المنشودة هو من أهم عناصر النجاح الذى لن يتحقق ما لم تقتنع جميع الفعاليات السياسية والسلطة التشريعية والاقتصادية والرأي العام بصوابية هذه الأولويات والمراحل التى تتضمنها لتحقيق الأهداف المنشودة، أما الأمر الثاني فهو التأكيد على أنه لا يمكننا السير على أساس سليم نستشرف من خلاله وضع أفضل فيما يتصل بالميزانية، والوضع الاقتصادى بوجه عام من دون تقييم ومحاسبة، ومن دون معاينة لمشكلات اقتصادنا، لكي نستخرج المعالجات الصحيحة والناجحة للمعرقلات التى يجب أن نتغلب عليها، والتحديات التى يتوجب مواجهتها أو الاستعداد لها، أما الأمر الثالث فيتمثل في أن أي اجراءات تقدم عليها الدولة وأي خطة تعافي، لا معنى لها ولا جدوى إن لم تنعكس على أوضاع المواطنين، وتوفر لهم حياة أفضل وأكرم واكثر أماناً، بكل ما تحمله كلمة الأمان من أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية.

يبقى سؤال ملح يفرض نفسه: بافتراض أن الناس قبلت، على مضض أو اقتناع، بالإجراءات والمبادرات المطروحة، هل يمكن أن تقدم الحكومة ضمانات بأننا سنتخلص من الدّين العام وأعباءه، وأن التوازن المالى سيتحقق فعلياً فى الميزانية ويتحقق معه الاقتصادي الموعود؟!.

قراءة في مبادرات الحكومة للتوازن المالي

تقدمت الحكومة الموقرة بحزمة من المبادرات تهدف إلى تحقيق توازن مالي من خلال الميزانية العامة للسنتين القادمتين. يمكن تقسيم هذه المبادرات إلى ثلاث مجموعات: رسوم وضرائب، رفع الدعم، وإصلاحات ادارية وتنظيمية. تُمثل هذه المبادرات حلولاً تعتمد سياسات مالية ونقدية قصيرة المدى. بالرغم من أنّ الضرائب والرسوم أدوات مستخدمة إلا إننا نتطلع إلى حلول تنموية واقتصادية أشمل وأكثر تاثيراً على الاقتصاد الانتاجي وزيادة الصادرات، نتأمل أن تكون مشمولة في تفاصيل مشروع الميزانية. من ناحية أخرى تعتمد الحكومة في قياس الأداء الاقتصادي على مؤشر الناتج المحلي الإجمالي، ولا يبدو في ما نُشر إشارة إلى مؤشرات تنموية واجتماعية تقيس التقدم في الرفاه الاجتماعي والازدهار الاقتصادي وتأثير مردودها ومنافعها على حياة جميع المواطنين.

د. محمد الكويتي

تحقيق توازن مالي ونمو اقتصادي لتقليل الدين العام أمر مهم وضروري لكنه يحتاج إلى سياسات تنموية واقتصادية ومالية تنظرإلى الصورة الأكبر التي تربط المشروع بالحياة الإنسانية والاجتماعية والثقافية والسياسية، يضع أهدافاً تنموية واقتصادية تسعى لتحقيق غاية أسمى، وهي ازدهار اقتصادي يُحقق رفاهية المواطن ورفع مستواه المعيشي وتقدم المجتمع واستقرار الدولة وفق مبادئ العدالة والاستدامة والحوكمة الرشيدة التي أساسها الشفافية والمساءلة؛ ويخضع لقيم العدالة والمساواة والتكافل الاجتماعي. هذا النهج الفكري يجعل الغاية من التنمية هي الإنسان والمجتمع، وبالتالي يفرض إعادة تعريف الأداء الاقتصادي بما يتجاوز مؤشر "النمو الاقتصادي" والتوازن المالي، ليشمل مؤشرات أداء اقتصادي تنظر إلى الأثر في حياة الناس ومستوى معيشتهم وانتاجيتهم واستقراهم، أي توجه لمعالجة القضايا الملحة التي تشغل المجتمع والدولة مثل البطالة ومستوى المعيشة ومعدلات الفقر وتوسيع القاعدة الإنتاجية.

توسيع الهدف ليشمل الفرد والمجتمع والدولة يقتضي أن تكون المعالجة شاملة، والخطوة الأولى توجه تنموي طويل الأمد، والخطوة الثانية أهداف اقتصادية، والخطوة الثالثة سياسات مالية ونقدية. تبدأ الخطوة الأولى بتعريف الازدهار الاقتصادي ومستوى المعيشة للمواطن وماهي البرامج والسياسات الموجهة لمعالجة القضايا الملحة، وتجيب على تساؤلات مثل: ماذا يعني الازدهار بالنسبة للفرد والمجتمع، وكيف نعرِّف ونقيّم هذا الازدهار، وكيف يتوزع مردوده. السؤال الآخر هو: ماهي القطاعات والمشاريع الكبيرة التي ستدعمها هذه الميزانية لخلق فرص عمل للمواطنين برواتب مجزية، وماهو مستوى المعيشة اللائق والمتفق عليه مجتمعياً (ماهو الحد الأدنى للدخل الذي يحقق هذا المستوى)، وماذا يعني تقدّم المجتمع واستقراره. هذه قضايا مترابطة تحتاج إلى نهج يضع هذه الغايات في المقدمة، ويسعى إلى توافقات ونتائج يدعمها الجميع. صحيح أن هذا حلّ طويل الأمد، لكننا ما لم نبدأ فإن الغاية ستبقى بعيدة. ما لم نتناول الموضوع بهذه الشمولية فإن مبادراتنا قد تكون قصيرة الأمد ومقتصرة على الجانب المالي والنقدي على حساب الجوانب المؤثرة في حياة المواطن واستقرار المجتمع والدولة.

فمثلا، المبادرة الأولى "رفع كفاءة المصروفات العامة". مبادرة مهمة تعني إجراء تعديلات (إعادة هندسة العمليات) لرفع فعالية وكفاءة الأجهزة الإدارية في الدولة وتقليل تكلفتها، خصوصاً وأنّ هناك تضخماً في بعض هذه الأجهزة. تبعات ذلك يعنى الاستغناء عن موظفين في القطاع الحكومي وتقليل فرص التوظيف، لذلك ينبغي أن يصاحب هذه المبادرة إعادة تدريب لمن سوف يتمّ الاستغناء عنهم. كذلك يتطلب الأمر خطة اقتصادية شاملة تفتح فرص عمل في صناعات ومشاريع كبيرة تستوعب الفائض من العمالة الوطنية، ومن خريجي التعليم العام والعالي. لذلك فإن مثل هذه الإجراءات ينبغي أن تكون جزءاً من خطة تنموية أكبر تعمل على إقامة مشاريع متنوعة في التصنيع والسياحة والقطاع المالي وغيرها.

تسعى الحكومة من خلال هذه المبادرات إلى تحقيق توازن مالي، وتقليل الأعباء المالية على الموازنة القادمة، وزيادة الإيرادات وخفض الدين العام. فهل هذه المبادرات هي أفضل ما يمكن؟ وما تأثيراتها وتداعياتها على المواطن والمجتمع والدولة والقطاع الخاص، خصوصاً الشركات الصغيرة والمتوسطة؟

هناك بدائل ضريبية أخرى قد تكون أقلّ ضرراً على الفئات الضعيفة في المجتمع، وأقلّ تأثيراً على القطاع الخاص. نذكر منها ضريبة الأرباح الرأسمالية (على الأسهم والعقارات) والتي تؤثر بشكل أساسي على أصحاب الثروات وليس عامة المستهلكين، وضريبة على السلع الكمالية غالية الثمن، وضريبة على المضاربات العقارية، وضريبة تصاعدية على الدخل المرتفع للأفراد والشركات. مثل هذه الضرائب يصعب تمريرها على المواطن العادي وتمثل حلاً قصير الأمد وتُكّرس مفهوم التكافل الاجتماعي. كذلك من الأفضل أن يرافق ذلك حلول طويلة الأمد مثل المشاريع الكبيرة الانتاجية التي تخلق فرص عمل وتدعم الصادرات وتقلل الواردات، يتمّ ذلك من خلال تنمية القطاعات غير النفطية مثل السياحة والتصنيع والقطاع المالي وغيرها، وإخضاعها لنظام ضريبي تصاعدي يدعم الميزانية. نأمل أن تكون مثل هذه المشاريع مشمولة ضمن مشروع الميزانية والرؤية الاقتصادية للتنفيذ القريب.

السؤال لا يقتصر على التوازن المالي أو إيجاد فائض في الميزانية، بل ينبغي أن يتسع ليشمل: ماهي القضايا المجتمعية الملحة التي سوف تعالجها هذه المبادرات؟

يفترض أن تكون عملية وضع الميزانية منظومة متكاملة من الحلول للقضايا الرئيسية في المجتمع والدولة وتنبثق من رؤية تمّ وضعها مسبقاً في برنامج الحكومة تشمل أهدافاً ومبادئ وقيم تسعى الحكومة لتكريسها من خلال مشروع الميزانية والمنسجم مع الرؤية العامة لمسار الدولة وإلى أين تتجه. فما هو التوجه وما هي الأهداف التي نسعى للاستمرار في تحقيقها أو تعزيز العوامل المؤثرة فيها؟، على أن نكون ملتزمين بالمبادئ والأسس التي وُضعت في الرؤية والتي تحكم السياسات، ومنها الميزانية والقرارات والبرامج والمشاريع الناتجة عنها. الحلول ينبغي أن تعبّر بشفافية عن التكافل والتضامن الاجتماعي والعدالة الاجتماعية؟ والالتزام بهذه المبادئ يعنى أن نضع القضايا الرئيسية في مقدّمة العمل وأن نرى ماذا تحقق وماذا بقي في هذه الفترة، وأين ينبغي أن يكون التركيز لإحداث أكبر أثر على حياة المواطن ومستواه المعيشي وعلى تقدّم المجتمع واستقرار الدولة. وهذا يحتاج إلى منظومة مؤشرات أداء اقتصادي واجتماعي تتجاوز مؤشر الناتج المحلي الإجمالي ونصيب الفرد منه إلى مؤشرات تقيس تأثير أي حزمة من المبادرات على المواطن ومستوى معيشته ورفاه المجتمع وتقدّمه واستقراره.

المبادئ الدستورية لقوانين الميزانية

تتمتع مبادئ قوانين الميزانية بقيمة دستورية، فإما أن يكون منصوصاً عليها في الدستور، أو في قانون الميزانية العامة، وهذه المبادئ هي: سنوية الميزانية، ووحدتها، وعموميتها، فضلاً عن مبدأ عدم جواز تضمين الميزانية العامة أحكاماً موضوعية كفرض ضرائب.

مبدأ سنوية الميزانية

سنوية الميزانية تعني أن يتم إعدادها سنوية، أي لمدة سنة، وسبب هذا المبدأ يرجع إلى ضرورة تمكين البرلمان من ممارسة رقابة دروية على النشاط الحكومي، وبحيث لا تُمارس هذه الرقابة على فترات قصيرة، ويجد مبدأ سنوية الميزانية أساسه الدستوري، حين نصّ على ضرورة تقديم الميزانية السنوية إلى البرلمان قبل انتهاء السنة المالية بشهرين وفقاً للمادة (109) من دستور البحرين التي جرى نصها (تعدّ الحكومة مشروع قانون الميزانية السنوية الشاملة لإيرادات الدولة ومصروفاتها، وتقدّمه إلى مجلسي الشورى والنواب قبل انتهاء السنة المالية بشهرين على الأقل).

الجدير بالذكر أن المُشرّع الدستوري في مملكة البحرين أجاز الخروج على مبدأ السنوية بحيث يمكن إعداد الميزانية لسنتين ماليتين على الأكثر، وهو المعمول به من الناحية العملية، إلا أن الاتجاه الغالب دولياً يعتمد سنوية الميزانية.

مبدأ وحدة الميزانية

يُقصد بمبدأ وحدة الميزانية أن تظهر كل الإيرادات والمصروفات في وثيقة واحدة بهدف تمكين البرلمان من الرقابة الفعالة على الحكومة، حيث أن يتمّ تضمين كل الإيرادات والمصروفات في وثيقة واحدة يسمح لأعضاء البرلمان بمعرفة تكوين الميزانية وقيمتها، أما إذا كانت الإيرادات والمصروفات موزعة في عدّة وثائق فإنه يصعب تكوين رؤية عامة للمركز المالي، ويُعدّ مبدأ وحدة الميزانية مبدأً دستورياً، فالمادة 109 من دستور البحرين تؤكد على "مشروع قانون الميزانية السنوية الشاملة لإيرادات الدولة ومصروفاتها"، وفكرة وحدة الميزانية قديمة ترجع إلى الثورة الفرنسية التي رفعت شعار (ميزانية واحدة لدولة واحدة).

وبصفة عامة ما يزال مبدأ وحدة الميزانية محلاً لبعض مظاهر الخروج عليه، ومن أهم مظاهر ذلك قانون تعديل الميزانية، ومشروع الاعتماد الإضافي أو الميزانية الملحقة.

مبدأ عمومية الميزانية

إن مبدأ عمومية الميزانية يقتضي أن يتم إدماج كلّ الإيرادات في مجموعة واحدة، على أن تُخصم منها كل النفقات العامة، وهذا يعني ضرورة التمييز أو الفصل الكامل بين الإيرادات والنفقات أو بين الموارد والأعباء، وقد ورد هذا المبدأ في المادة الأولى من قانون الميزانية العامة رقم (39) لسنة 2002 التي تنصّ على (الميزانية العامة للدولة أداة السياسة المالية للدولة، وتتضمن بيان الإيرادات المقدّر تحصيلها، والمصروفات المقدّر إنفاقها للحكومة خلال سنة مالية معينة، وبما يحقق الاستقرار والنمو الاقتصادي، من خلال التخصيص العادل للموارد الوطنية ليتمّ استغلالها بكل كفاءة وفعالية) كما ورد في المادة (13) من ذات القانون (تُخصص إيرادات الدولة بمجموعها لتغطية المصروفات العامة بمجموعها، ولا يجوز تخصيص أي إيراد من الإيرادات العامة لتغطية مصروف معين من المصروفات العامة إلا بقانون. وتدرج في الميزانية العامة الإيرادات والمصروفات، ولا يجوز أن يخصم مصروف معين من إيراد معين، ولا إيراد معين من مصروف معين إلا بقانون. ويتضمن مبدأ عمومية الميزانية قاعدتين أساسيتين: قاعدة الناتج الإجمالي، وقاعدة عدم تخصيص الإيرادات.

قاعدة الناتج الإجمالي تعني عرض الميزانية لكلّ أرقام المالية بوضوح، وهذا لا يتحقق إلا بكتابة الأرقام الإجمالية وحظر المقاصة بين الإيرادات والنفقات.

وقاعدة عدم تخصيص الإيرادات تعني حظر إجراء مقابلة بين إيراد ونفقة، فالإيرادات يُمكن أن تقوم بتمويل أي نفقات.

مبدأ عدم جواز تضمنين الميزانية العامة أحكام موضوعية تنصّ المادة 112 من دستور مملكة البحرين (لا يجوز أن يتضمن قانون الميزانية أي نصّ من شأنه إنشاء ضريبة جديدة، أو الزيادة في ضريبة موجودة، أو تعديل قانون قائم، أو تفادي إصدار قانون في أمرٍ نصَّ هذا الدستور على أن يكون تنظيمه بقانون).

وفقاً للنص أعلاه فإنه يجب على الحكومة مراعاة قاعدة عدم جواز تضمين قانون الميزانية حكماً موضوعياً جديداً، فلا تضمن مشروع الميزانية سوى الأحكام المالية الخاصة، ويُعلل الفقه هذا الحكم لكي لا تتخذ الحكومة من نظر الميزانية والتي تُنظر على وجه الاستعجال فرصةً لإقحام أحكام موضوعية يكون مكانها الطبيعي العرض على وجه الاستقلال لكي تأخذ ما تستحقه من الدراسة والمناقشة وربما تنتهي برفضها.

وبالتالي فإن دستور مملكة البحرين قد حسم موضوع الأحكام التي تظهر في قانون المزانية، فهذه الأحكام ليس لها أن تنظم إلا نفقات الدولة وإيراداتها، فلا يجوز أن يتضمن قانون الميزانية أية أحكام ضريبية أو يكون موضوعها تعديل قانون قائم، أو تحول دون أن يصدر قانون خاص في موضوع من الموضوعات.

وأخيراً وليس آخراً أصبح الحساب الختامي أداة لرقابة متميزة لذلك أوجب المادة 113 من دستور البحرين تقديم الحساب الختامي للشؤون المالية للدولة عن العام المنقضي أولاً إلى مجلس النواب خلال الأشهر الخمسة التالية لانتهاء السنة المالية، ويكون اعتماده بقرار يصدر عن كلّ من مجلسي الشورى والنواب مشفوعاً بملاحظاتهما، وينشر في الجريدة الرسمية.

إن مناقشة قانون الحساب الختامي وقانون الميزانية العامة فرصة لكي تُدعم السلطة التشريعية وظيفتها الرقابية، وتسمح لها بتقويم سياسي لحقيقة النفقات العامة بالنظر إلى أهداف وتعهدات الميزانية متعددة السنوات.

محمود ربيع

لا يجوز أن يتضمن قانون الميزانية أية أحكام ضريبية أو يكون موضوعها تعديل قانون قائم، أو تحول دون أن يصدر قانون خاص في موضوع من الموضوعات

الميزانية العامة وأشياء أخرى

عبد النبي سلمان

الوضع المتراجع أوصلنا لمزيدٍ من التخبط على المستوى الوطني والمعيشي والتنموي

للحديث بشكل مختصر عن أهمية دراسة الميزانية العامة للدولة ومتابعة الحكومة والبرلمان للواقع الاقتصادي والمعيشي، والتي تُعرض على السلطة التشريعية بمجلسيها لإقرارها، حيث يسبقها مع بداية كل فصل تشريعي مناقشة وإقرار برنامج الحكومة والتوافق حوله مع الحكومة، ومدة الفصل التشريعي أربع سنوات، أي عمر ميزانيتين كاملتين، ما يتطلب منا أولاً معرفة حجم وجسامة التحديات والمصاعب التي تواجهنا كمجتمع وكدولة لمقاربتها قدر الإمكان بامكانياتنا ومواردنا المتاحة، بالإضافة إلى كون مشروع الميزانية العامة هو أهم مشروع سياسي واقتصادي يمكن أن يناقشه البرلمان، نظراً لطبيعة انعكاساته الاجتماعية والمعيشية والاقتصادية وحتى الأمنية على المجتمع والدولة، حيث يتجه المجتمع بأسره تقريباً، وبعيداً عن رأينا المسبق ومدى ثقتنا في جدية وقدرات كل من الحكومة والبرلمان في إنجاز المهمة بما يرضي السواد الأعظم من المعنيين.

هنا تكون للحكومة تطلعاتها المعلنة وغير المعلنة أحياناً كثيرة، كما يكون لمجلس النواب كجزء رئيس من السلطة التشريعية تطلعاته المعلنة وغير المعلنة أحياناً، أخذاً في الاعتبار أجندات وتوجهات بعض ممثلي الشعب التي يغلب عليها في مثل أوضاعنا طابع المناطقية ولا تخلو أحياناً كثيرة من طابعها الشعبوي الذي قد لا يكون، في بعض الحالات، مبنياً على أرضية راسخة من السعي لتحقيق المصلحة الشاملة المفترضة، وباعتبار أن بعض ممثلي الشعب ربما يتناسون أحيانا أنهم ممثلون للشعب وليسوا لمناطقهم أو دوائرهم فحسب.

يحدث هذا في ظلّ برلمانات لا تأخذ صفة الحزبية والتكتلات والتحالفات على محمل الجد، أو لضعف مزمن في الحراك الحزبي والسياسي نظراً لأسباب متعددة، نحو تحقيق مصالح مشتركة للناس بغضّ النظر عن مناطقهم الموزعة بشكل جغرافي ليس لأحد من الناس التدخل في طبيعته، وليس بالضرورة أن تتماهى المطالب النيابية الخدماتية فيه، كالحاجة لمزيدٍ من المدارس والمستشفيات والشوارع الحديثة والمدن الجديدة وربما الحدائق والمماشي ودور العبادة وغيرها، يُضاف إلى ذلك حجم المطالب الشعبية لمشاريع إسكانية جديدة تستوعب حجم الطلبات الإسكانية المتزايدة نظراً للكثافة السكانية هنا وهناك، وكذلك هو الحال مع أولوية إيجاد وظائف للعاطلين عن العمل بين منطقة وأخرى او حتى مستويات الفقر والغنى وهكذا..

هنا تتباين التوجهات والرؤى لدى النواب الذين يسمون عادة بالمستقلين، فهؤلاء يسعون في الغالب لكسب ود ورضا أبناء دوائرهم، بعكس ما يفترض أن يكون عليه الوضع لو أن هناك أجندات حزبية وتكتلات تلتئم وتتقاطع على أسس واضحة من المطالب الشعبية والمشتركات لتحقيق غايات أكبر على مستوى الوطن بعيداً عن تكثيف الحالة المناطقية التي من شأنها إضاعة وقت مجلس النواب وممثلي الشعب وإرهاق الحكومة ذاتها بالكثير من المطالب التي عادة تكون متعذرة ، خاصةً في ظل شحّ الميزانيات وفي زمن التراجعات المالية والاقتصادية.

لذلك نقول إن دراسة الميزانية العامة لا يجب أن تبتسر أو تقلص، كما هو حاصل لدينا في مطالب يضطر النواب لإجرائها كنوعٍ من الترقيعات العابرة والسريعة تجاوباً مع حاجات ملحة فرضتها إما الظروف الاقتصادية الضاغطة على المواطنين أو لسوء إدارة الحكومة لملفات محددة كملف الإسكان أو المالية العامة للدولة أو توزيع الوحدات الإسكانية غير العادل أو ازدياد معدلات البطالة في مناطق جغرافية محددة دون غيرها، نتيجة لإهمال وتراكمات مزمنة تسببت فيها سياسات خاطئة، أو حتى نتيجة لقرارات وزارية وحكومية غير مدروسة أنتجت ربما حجماً مهولاً من الخريجين في تخصصات علمية وأكاديمية غير مطلوبة في سوق العمل مما خلق بطالة مزمنة يصعب إيجاد حلول سريعة لها، أو نتيجة لسياسات غير سوية لسوق العمل كالتخصيص غير المنهج أو لجهل وعدم وعي بطبيعة احتياجات السوق ذاته، مما أفرز واقعاً مشوّهاً فاقم كثيراً من أزمة البطالة نتيجة تغوّل العمالة الوافدة وغياب تخصصات محددة أو انعدام مهارات ومهن وفنيين نتيجة لفقر وإهمال التعليم الصناعي في البلد، مما سهل لاستقدام عمالة اجنبية ليست بالضرورة ماهرة، بل لسدّ الفراغ القائم..وبالتالي نزيد من تشوهات سوق عملنا من جهة ونضاعف من

اكتفينا برفع شعارات واهمة لا تنظر إلى البعيد ليتكرس لدينا واقع صعب نبحث في جنباته عن حلول هي أقرب إلى الترقيعات التي لن تحلّ المشكلة

نسب البطالة وحالات القنوط واليأس والاكتئاب ومعدلات الجريمة، وانتشار الفقر والمخدرات واكتظاظ السجون، وفي أحيان كثيرة تبقى تلك الحالة مزمنة ومستعصية على الحل مما يُضيّع على المجتمع كفاءات وفرص وإنتاجية نحن في أمسّ الحاجة إليها.

أمر آخر نتابعه باستمرار في نظرتنا العامة غير الحصيفة لمشروع الميزانية العامة للدولة، عبر التركيز بشكل غير مدروس على جوانب تحققّ مكتسبات وقتية دون معرفتنا بمصادر تمويل تلك المكتسبات، والتي ربما تعود أحيانا بالسلب على بعض من أولوياتنا الوطنية أو حتى على واقعنا الاقتصادي وتضخم مديونياتنا العامة نتيجة برامج هي عبارة عن مضيعة للوقت والجهود، أو تعطل برامج إسكانية وتعليمية وصحية وتنموية، حيث تتداخل الأولويات وتتعارض بين الحكومة وممثلي الشعب وذلك كله بسبب غياب وعدم وجود الرؤية الواضح المعالم أمام الجميع.

ولمقاربة ذلك دعونا نقول إن أولوية الوظائف ونوعيتها للبحرينيين وزيادة الأجور لهم وضعت كأحد ركائز رؤية البحرين 2030، تلك الرؤية التي طرحت على الورق منذ أكتوبر 2008، فأين نحن من كل ذلك ؟! وكم ميزانية عامة مررت منذ ذلك التاريخ حتى الآن؟، كذلك هو موضوع تقليص الدين العام وتقليص خدمة الدين كما يقال ذلك في كل محفل رسمي وغير رسمي، للعلم أنا شخصياً غادرت قاعة البرلمان في عام 2006 وكان حجم الدين العام لا يتجاوز 1.5 مليار دينار بحريني وعدت إليه في عام 2018 وحجم المديونية العامة المعلنة لا يقل عن 16مليار دينار بحريني وها أنا أتابع الآن حجم المديونية الذي سيتجاوز قريبا ال 20 مليار دينار بحريني!! ترى أين نجحت الرؤية وأين أخفقت؟!

إذاً دعونا نتساءل أين يكمن الخلل ولماذا نستمر في كل هذا التخبط دون أدنى مراجعة لتلك الأخطاء المميتة، ونحن نتابع تراجعات مخيفة لا تصمد معها تلك الأرقام الدعائية المعلنة بين فترة وأخرى؟!

هذا الوضع المتراجع أوصلنا لمزيدٍ من التخبط على المستوى الوطني والمعيشي والتنموي، لأننا ببساطة اعتقدنا بل صدّقنا أن أوضاعنا مثالية، واكتفينا برفع شعارات واهمة لا تنظر بعيداً ليتكرس لدينا جميعا واقعاً صعب نبحث في جنباته عن حلول هي أقرب للترقيعات التي لا مفر منها بكل أسف!.

مشاورات السلطتين حول الميزانية

ترحيل مناقشة معيشة المواطنين إلى لجان عقيمة

فلاح هاشم

تعتبر الميزانية العامة للدولة، أهمّ مشاريع القوانين التي تناقشها وتقرّها السلطة التشريعية، ومن خلال ذلك يمكن قياس مدى أهمية الدور الذي يقوم به المجلس التشريعي وفاعليته في عملية إقرار واعتماد الموازنة العامة، فهى تعدّ من أهم الوثائق التي تتضح بواسطتها التوجهات الرئيسية للسياسة العامة للحكومة، وتُبين ما الذي تنوي الحكومة أن تفعله، وكيف ستقوم بتمويل ذلك من خلال الإيرادات: (دخل النفط، الضرائب والرسوم، الاقتراض، عوائد استثمارات الدولة، أو المساعدات الخارجية... إلخ)، كما وتنعكس فيها أولويات البلاد في تفاصيل موازنتها العامة في القطاعات المختلفة، وبذلك تعكس الموازنة الفلسفة السياسية لإدارة الحكم من الناحية الاقتصادية والاجتماعية لتحقيق أهدافها، وتعتبر الموازنة من المسائل المهمة التي تؤثر في شتى مناحي الحياة العامة، ومن هنا أوجبت الدساتير عرضها على البرلمانات لدراستها ومناقشتها وقرارها.

وقد نصّ دستور مملكة البحرين في الباب الخامس "الشؤون المالية" في المواد من (109) الى (119) على آلية إعداد ومناقشة وإقرار الميزانية، حيث نصّت المادة (109) الفقرة (ب) على التالي: "تعدّ الحكومة مشروع قانون الميزانية السنوية الشاملة لإيرادات الدولة ومصروفاتها، وتقدّمه إلى مجلسي الشورى والنواب قبل انتهاء السنة المالية بشهرين على الأقل. وبعد تقديم المشروع تجتمع اللجنتان المختصتان بالشؤون المالية لكلٍّ من المجلسين في اجتماع مشترك لمناقشته مع الحكومة، وتقدّم كل لجنة بعد انتهاء المناقشات تقريراً منفصلاً إلى المجلس الذي تتبعه، ويعرض مشروع القانون على مجلس النواب لمناقشته وإحالته إلى مجلس الشورى للنظر فيه وفق أحكام الدستور، ويجوز إدخال أيّ تعديل على مشروع قانون الميزانية بالاتفاق مع الحكومة"

ففي المادة أعلاه وما تلاها من مواد في هذا الباب يلاحظ أنّ الدستور استفاض في تبيان تفاصيل آليات مناقشة الميزانية وإدخال التعديلات عليها وإقرارها ومسؤوليات كل سلطة في هذا الشأن. كما يتضح ذلك من المادة الدستورية أعلاه التي تنصّ بوضوح على أنّ إعداد الميزانية هو من المهمات الحصرية للحكومة، وأنّ عليها تقديمها للمجلس قبل انتهاء السنة المالية بشهرين، وأن المجلس يناقشها بعد تقديمها له بصيغة مشروع بقانون، إلا أنّه من الملاحظ أنّ ما اعتمد في هذا الفصل التشريعي الحالي في دوريه السابق والحالي بعقد اجتماعات تشاورية قبل تقديم الميزانية رغم المخالفة الدستورية بالتأخر في تقديمها، وهذه المشاورات لم تنص أو حتى تشير له أيّ من النصوص الدستورية، علاوة على ما جرى في الدور السابق حين تمّ التشاور حول الميزانية من تمرير بعض التفاهمات بين السلطتين التشريعية والتنفيذية مخالفةً لما ينص عليه الدستور خاصة في التفاهمات التي أعلن عنها عبر الصحافة بزيادة الدين العام، وهذا يتطلب إقراره بقانون، وهو ما لا يتوافق مع المادة الدستورية رقم (112) والتي تنصّ على: "لا يجوز أن يتضمن قانون الميزانية أيّ نص من شأنه إنشاء ضريبة جديدة، أو الزيادة في ضريبة موجودة، أو تعديل قانون قائم، أو تفادي إصدار قانون في أمر نصَّ هذا الدستور على أن يكون تنظيمه بقانون" وهذا ما تؤكد عليه المادة الدستورية أيضًا رقم (108) "على أن تعقد الديون العامة بقانون".

فما هى حصيلة تلك التفاهمات سوى زيادة الدين العام ثلاثة مليارات دينار وبمرسومين خلال سنتين، وكما أعلن في هذا الدور أيضاً عن مناقشة ما أطلق عليه اسم مبادرات تتضمن أموراً تتطلب مناقشتها وإقرارها دستورياً قوانين منفصلة لا يجوز مناقشتها أثناء مناقشة أية أمور تختص بالميزانية، خاصة رفع ضريبة القيمة المضافة.

وعلى صلةٍ بمناقشة الميزانية لايغيب على أي متتبع لمجريات العمل التشريعي وما جرى في الفصلين التشريعين الرابع والحالي بخصوص مخرجات عمل اللجان المشتركة لإعادة هيكلة الدعم الحكومي التي تمّ الاتفاق عليها أثناء مناقشة الميزانية وتمرير تلك الميزانيات بعيوبها وعلاّتها بوعود أن يتم تصحيح تلك الاختلالات والعلّات بتفاهمات وتوافقات بين السلطتين عبر اللجنة المشتركة لإعادة هيكلة الدعم الحكومي، والتي استمرت في كلا الحالتين لفترات غير محدودة وعبر اجتماعات ماراثونية، ورغم كلّ ما قيل من تصريحات ذهبت هباء منثوراً بل أن النتيجة الفعلية جاءت معاكسة لما كان يتأمله المواطنون، ففي المرة الأولى في الفصل التشريعي الرابع وأثناء عمل اللجنة المشتركة لإعادة هيكلة الدعم،

الرسم للفنان خالد الهاشمي نقلاً عن حسابه على انستغرام

وبعدها تمّ وعبر العديد من الأدوات القانونية تراوحت بين المراسيم والقرارات الوزارية رفع الدعم عن العديد من المواد الغذائية والمحروقات والكهرباء، ورفع رسوم العديد من الخدمات الحكومية لتُتوج بإقرار قانون ضريبة القيمة المضافة.

ولتعاد الكرة في هذا الفصل التشريعي الحالي، فبالرغم من عمل اللجنة المشتركة لإعادة هيكلة الدعم وكل ما تمّ التصريح به من كلام عن تحسين معيشة المواطنين، تمرر الحكومة للسلطة التشريعية ما أطلقت عليه مصطلح مبادرات تهدف بالأساس جيوب المواطنين وتنبئ بتشريعات تؤدي إلى فرض ضرائب جديدة، وزيادة الضرائب الحالية، ورفع الدعم عن البقية الباقية من الدعوم للمواطنين.

تنصّ المادة العاشرة من الدستور على: "الاقتصاد الوطني أساسه العدالة الاجتماعية، وقوامه التعاون العادل بين النشاط العام والنشاط الخاص، وهدفه التنمية الاقتصادية وفقا لخطة مرسومة، وتحقيق الرخاء للمواطنين، وذلك كله في حدود القانون»، وبما أن الميزانية تُعنى بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية وهي قانون، وهي المرتكز الأساسي لسياسات المالية وديناميو الاقتصاد الوطني فهل هى متوافقة مع ما تنصّ عليه المادة الدستورية بأن يكون أساسها العدالة الاجتماعية وتحقق الرخاء للمواطنين؟، وأين الخطة المرسومة لتحقيق الرخاء الموعود؟

النقابي عبدالله حسين يترجل..

مهدي مطر

في يوم الجمعة ٤امارس٢٠٢٥ انتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي رسالة حزينة مقتضبة: «إنّا للّه وإنا إليه راجعون.. بوحسين في ذمة اللّه». لكن التساؤل الذي قفز للذهن عن هذا الخبر الحزين: هل المعني بالأمر هو الرفيق عبداللّه حسين؟.
لم يتأخر الرد: نعم، الرفيق عبد اللّه حسين في ذمة اللّه..
رغم وطأة الخبر الشديدة الحزن، لم يكن مفاجئا لنا، نعرف أن أبا حسين يعاني من مرض عضال.
في اليوم التالي، يوم التشييع، غصّت مقبرة المنامة بحشود الرفاق والأصدقاء والأحبّة، من كافة شرائح المجتمع البحريني، قيادات سياسية ونقابية واجتماعية، جاءت لتوديع المناضل النقابي عبداللّه حسين وتُقدم التعازي وتتقبلها، وكان عبداللّه، أبو حسين، الحاضر الغائب..

عبد الله، أبو حسين، هكذا يحلوا لنا تسميته، هو قائد عمالي شجاع وجسور، جُبل على العمل النضالي منذ كان شابا يافعا. فحين نقرأ صفحة من سيرته النضالية، نكون أمام قامة نقابية وطنية وقومية وأممية قلما زخرت بها الساحة البحرينية، بدءاً من مرحلة الدراسة الجامعية، حيث التحق بجامعة بنغلور في الهند لينخرط في الحركة الطلابية بالإنتماء للإتحاد الوطني لطلبة البحرين فرع بنغلور، وفي مطلع الثمانينيات عاد إلى الوطن والتحق بالعمل في شركة خدمات مطار البحرين «باس»، مناضلا في صفوف اللجنة التأسيسية لاتحاد العمال وأصحاب المهن الحرة، التي كانت تنشط سراً.

في عام 1982 طرحت الحكومة «اللجان العمالية المشتركة»، فدار جدل وسط الحركة العمالية والسياسية وتباينت الرؤى، من مسألة المشاركة، بين الرفاق، وأثيرت مخاوف من أن الحكومة ترمي من خلال طرح مشروع «اللجان المشتركة» إلى الإلتفاف على مطلب الحركة العمالية المتمثل في حرية العمل النقابي، الذي يعتبر مطلباً رئيسياً للحركة العمالية والسياسية في البحرين، فقد كان على رأس المطالب إبان حركة هيئة الاتحاد الوطني (1954 – 1956)، وانتفاضة مارس 1965، والحراك العمالي عام 1972تحت مظلة اللجنة التأسيسية لاتحاد العمال وأصحاب المهن الحرة.

ارتأى المناضل عبدالله حسين وثلّة من الكوادر العمالية ضرورة المشاركة في المشروع الجديد «اللجان العمالية المشتركة» باعتبارها خطوة للوصول إلى تشريع حرية العمل النقابي الحقيقي.

تشكلت اللجان العمالية في الشركات والمصانع عبر انتخابات العمال ممثليهم في اللجان المشتركة وتوسعت هذه اللجان تدريجياً، وتأسست اللجنة العامة لعمال البحرين في عام 1983 وضمّت ما يقارب 18 لجنة عمالية، وكان الرفيق الراحل عبدالله حسين من مؤسسي اللجنة العمالية في شركة «باس» وترأس اللجنة لعدة دورات، وقياديا في اللجنة العامة لعمال البحرين.

لعبت اللجنة العامة لعمال البحرين دوراً محورياً في مسيرة العمل النقابي والتمهيد له، من خلال العمل على ترسيخ انتخابات دورية للجان، وقد تمكنت من تحقيق العديد من المطالب العمالية وحلّ النزاعات مع إدارات الشركات بالرغم من المعوقات، كما طالبت باستقلالية العمل النقابي. ومن المكاسب التي حققتها اللجنة العامة لعمال البحرين نيل العضوية المراقبة في الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب.

مع الانفراجة السياسية التي شهدتها البلاد مطلع القرن

الواحد والعشرين، بادر نشطاء الحركة النقابية بالدعوة لتأسيس اتحاد عمالي، حرّ وديمقراطي ومستقل، وبفضل هذه الجهود، تحوّلت اللجنة العامة إلى اتحاد عمال البحرين أولا، وبعد صدور قانون النقابات العمالية تأسس الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين في 14 يناير عام 2004، وانتخب عبد الله حسين، أحد الأعضاء المؤسسين، عضواً في الأمانة العامة في المؤتمر التأسيسي والدورة الأولي، وتبوأ منصب مساعد الأمين العام للشؤون الدولية، كما أُنتخب عضواً في مجلس إدارة منظمة العمل الدولية التي مقرها مدينة جنيف.

من اللحظات المفصلية في تاريخ المنا ضل عبدالله حسين، عندما تم فصل المئات من العمال والموظفين على خلفية الحراك الشعبي عام 2011، فقد كان الاتحاد العمالي والأمانة العامة في موقف صعب. قام عبدالله حسين مسؤول الشؤون الدولية بدور محوري من خلال موقعه القيادي في منظمة العمل الدولية، فتصدى لهذه المشكلة وحمل الملف مع جهود الأمانة العامة، ونجح الاتحاد العمالي في إعادة المفصولين إلى أعمالهم بعد جهد مُضني وتمّ التوصل إلى اتفاق بين منظمة العمل الدولية وحكومة البحرين، حظى بدعم الاتحادات العربية والدولية.

عندما نتحدث عن عبدالله حسين السياسي، فقد انتمى مبكراً للحركة الوطنية في البحرين منذ كان طالباً في الجامعة، وكان أحد كوادر الجبهة الشعبية في البحرين، والتحق بجمعية وعد عند تأسيسها، بعد أن تمّ التوافق على العمل السياسي العلني عام 2001، وقد ترأس المكتب العمالي بالجمعية، كما كان عضو اللجنة المركزية فيها.

على الصعيد القومي، تسكن القضية الفلسطينية عقل ووجدان عبدالله حسين، إذ كان حريصاً على المشاركة الدائمة في فعاليات التضامن مع الشعب الفلسطيني، وكانت بصماته واضحة في دعم عمال وشعب فلسطين من خلال موقعه القيادي في منظمة العمل الدولية وعلاقاته مع الاتحادات العمالية الدولية. ورغم وضعه الصحي الحرج، كان حريصا على المشاركة في فعاليات الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني، بعد انطلاق فعالياتها إثر تفجر طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023. وقد زرع حب فلسطين في عقول أبناءه، ورباهم على إسناد ودعم نضال شعبها ومقاومته للاحتلال.

رثاه الكثير من الرفاق والأصدقاء والأحبّة بكلمات تعبر عن الإخلاص والحزن على رحيله. فعلى صفحته في «فيسبوك» كتب القيادي السابق في منظمة العمل الدولية وليد حمدان: «ننعى اليوم فقدان رفيق لنا ومناصر حقيقي للحرية والعدالة»، وقال: «عبدالله حسين مساعد الأمين العام السابق في الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين الذي ترك بصمة لا تُمحى في التزامه الراسخ بالنضال من أجل الحقوق النقابية والديمقراطية والمساواة الاجتماعية في البحرين والمنطقة العربية». أما الأخ إبراهيم شريف وعلى منصة (x) فقد كتب: "النقابي عبدالله حسين نموذج المناضل والقائد العمالي والوطني"، وأضاف "ليس غريباً مشاهدة كل هذه الحشود التي جاءت للتعزية في وفاة رفيقنا وحبيبنا بوحسين، جاءوا لوداعه كما جاءوا تقديراً لما يُمثله من نبل وصدق وكفاح عالي نقابي وسياسي لم ينقطع على مدى أكثر من نصف قرن". وكتبت الدكتورة مُنى عباس على حسابها في الإنستغرام: "في ذاكرة الوطن، طاقة لم تهدأ في عمق الصراع، وبعزم الرجال أيها الرفيق عبدالله، بقيت شامخاً وفتحت نوافذ للأمل وللانتصار على الوجع والألم والحزن والانكسار". وتستطرد الدكتورة مُنى: "تحملت المسؤولية بهدوء وإصرار حتى في الزمن الصعب، حين تخلى من تخلى عن الدرب".

نُعزي زوجة الرفيق أبوحسين الأخت مُنى العامر بهذا الفقد ونُعزي أبناءه حسين ومحمد وسعد وجميع الرفاق والأصدقاء والأحبة.

أبو حسين.. ستظلّ في ذاكرتنا رمزاً من رموز الحركة العمالية والوطنية في البحرين. وداعاً..

المآلات الكارثية لثورات الربيع العربي

جلال إبراهيم

الانتفاضات العربية التي اندلعت في عام 2011، أو ما عُرفت في ذلك الوقت بثورات الربيع العربي، كانت تهدف في بداياتها إلى تحقيق تغييرات جذرية تتمثل في إنهاء حكم الاستبداد وقمع الحريات ومواجهة تفشي البطالة، مقابل إحلال الديمقراطية وتحقيق العدالة الاجتماعية وتحسين الأوضاع المعيشية. إلا أن هذه الانتفاضات انحرفت عن مسارها الأصلي، تاركة وراءها نتائج سلبية بل وكارثية في العديد من الدول العربية.

أدت الانتفاضات الشعبية إلى الإطاحة بأربعة حكّام عرب في تونس ومصر وليبيا واليمن، وبدا للحظة أن الديمقراطية قد وصلت أخيرًا إلى العالم العربي. لكن بعد مرور أكثر من عقد من الزمن، لم يعد أحد يحتفل بهذه الثورات، أو ربما يتم ذلك بشكل خجول. السبب يكمن في الأحلام المحطمة للجماهير العربية، نتيجة لما آلت إليه هذه الانتفاضات.

في سوريا، تحوّلت الاحتجاجات السلمية إلى حرب أهلية دامية، أسفرت عن مقتل مئات الآلاف وتشريد ملايين السوريين. وبسبب التدخلات الخارجية، أصبحت سوريا ساحة لصراعات إقليمية ودولية، حيث تدخلت قوات من إيران وروسيا وحزب الله لدعم النظام، في مقابل دعم دول أخرى للمعارضة، تتقدمها تركيا وقطر والولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية. ونتيجة لذلك، دُمرت المدن والبنية التحتية بشكل كبير، مما أدى إلى انهيار الاقتصاد وتردي الخدمات العامة، وانقسام المجتمع على أسس طائفية وعرقية، مما زاد من تعقيد الأزمة. وبعد الإطاحة بحكم البعث الذي سفك دماء السوريين، جاء حكم الجماعات الإسلامية المتطرفة التي لم تؤمن يومًا بالديمقراطية والتعددية واحترام الأقليات وحقوق الإنسان.

في ليبيا، وبعد الإطاحة بمعمر القذافي، انهارت مؤسسات الدولة، وتحوّلت ليبيا إلى ساحة صراع بين قبائل ومليشيات مسلحة متنافسة، تستقوي بعضها ببعض عبر الاستعانة بأطراف خارجية لديها مصالح وأطماع. ونتيجة لذلك، ساد الانقسام السياسي بين الليبيين، وفشلت الحكومات المتعاقبة في بناء دولة موحدة وقوية تحقق الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، مما أدى إلى انتشار الفوضى وانعدام الأمن.

أما في اليمن، فقد تحوّلت الاحتجاجات إلى حرب أهلية معقدة، مع تدخل تحالف عسكري بقيادة السعودية ضد الحوثيين المدعومين من إيران. ونتيجة لذلك، دخل اليمن في أسوأ أزمة إنسانية في العالم، حيث انتشرت المجاعة والأمراض ونقص الخدمات الأساسية، كما تشير تقارير الأمم المتحدة ومنظماتها. كما انهار الاقتصاد اليمني بشكل كامل، مما أدى إلى تفاقم معاناة السكان وتقسيم البلاد بين القبائل والجماعات المتصارعة على السلطة.

في مصر، شهدت البلاد فترة من عدم الاستقرار بعد الإطاحة بحسني مبارك، مع صعود وسقوط جماعة الإخوان المسلمين وعودة النظام العسكري، مع تقييد الحريات السياسية والإعلامية، وتدهور الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للمصريين.

أما في تونس، وعلى الرغم من نجاحها في تحقيق انتقال ديمقراطي نسبي، إلا أن الإصلاحات السياسية تراجعت مع استفراد الرئيس التونسي بالسلطات وقمعه للحريات وضربه للأحزاب السياسية في البلاد. ونتيجة لذلك، دخلت تونس في أزمات اقتصادية متكررة، مع ارتفاع معدلات البطالة والتضخم.

رغم أن ثورات الربيع العربي بدأت بمطالب مشروعة بالحرية والعدالة، إلا أن النتائج في العديد من الدول كانت كارثية، حيث أدت إلى حروب أهلية وانهيار دول وأزمات إنسانية وسياسية واقتصادية. هذه النتائج تُذكّر بأهمية الإصلاحات المدروسة والحلول السياسية الشاملة لتجنب الفوضى والعنف.

فهل يعود الفشل في إقامة الدولة المدنية الديمقراطية بعد الإطاحة بالأنظمة الاستبدادية إلى تخبطات العامل الداخلي، أم إلى مؤامرات العامل الخارجي؟ أم إلى كلا العاملين معًا؟

بصراحة

أوكـــرانيـــا وأوروبـــا الفـــزعـــة

منذ أن بدأت العملية العسكرية في ٢٤ فبراير ٢٠٢٢، في أوكرانيا من قبل روسيا و«الفزعة» الأوروبية مستمرة، عبر تقديم «المساعدة» لا أعرف إن كان في المعجم لها معنى آخر، هبَّ الأوروبيون لتقديم المساعدات وتحديداً الأسلحة بكل أنواعها بمليارات الدولارات شكّلت ضغوطات كبيرةً على كل الموازنات المالية لبلدانهم، وهناك عجزٌ واضحٌ في تلك الموازنات، وبالأخص عندما أقدموا على فرض عقوبات على روسيا لا مثيل لها في محاولة منهم لإضعافها وهزيمتها في الحرب، في الوقت الذي صمدت فيه ونجحت في قلب المعادلة وأصبح وضعها الاقتصادي والمالي أفضل، وكمثال على ذلك بتاريخ نشر مصرف «سبيربنك» الروسي، في النصف الثاني من فبراير الماضي «عن تفوق البنك على بنوك العالم تكنولوجياً ولن ينافسنا سوى المريخيين» إذا أحضرهم إيلون ماسك. أكد رئيس مصرف «سبيربنك» الروسي غيرمان غريف أن البنك لا يرى أي منافسين له على مستوى التطور التكنولوجي في العالم، باستثناء «سكان المريخ» إذا تمكن إيلون ماسك من إحضارهم إلى الأرض .

فاضل الحليبي

تكنولوجيا «الدفع بالابتسامة»

أشار غريف إلى أن انسحاب شركة "آبل" الأمريكية من السوق الروسية خلق فرصة لتطوير وإطلاق تكنولوجيا "الدفع بالابتسامة"، وهي تقنية روسية تتيح للمستخدم إجراء عمليات الدفع دون الحاجة لاستخدام البطاقة المصرفية، حيث تتعرف شبكة عصبية على وجه العميل في أقل من ثانية، وتخصم المبلغ المطلوب من حسابه المصرفي. وقال بهذا الصدد: "بصراحة، يجب أن نشكر شركة "آبل" التي فرضت عقوبات وأوقفت تقنية "الاتصال القصير المدى»(NFC)، وكان ردُّنا على هذه الخطوة أننا لا نحتاج إلى أي أجهزة ملموسة لإجراء المعاملات أو الدخول إلى المترو وما إلى ذلك، مضيفاً "أن سبيربنك سيستمر في تطوير خدمة "الدفع بالابتسامة"، مؤكداً أن الخدمة موثوقة للغاية رغم أنها تتطلب بعض الوقت للتكيف، مثل أي تكنولوجيا جديدة.

عرفت روسيا كيف تتعاطى مع العقوبات والتغلب عليها، فسخَّرت كل أمكانياتها وقدراتها من أجل تطوير اقتصادها، وبرزت صناعات روسية جديدة سوف يكون لها شأنٌ ودورٌ في الاقتصاد والصناعة والتجارة الدوليين، بالأخص عندما تتوقف الحرب وتستقر الأوضاع، لهذا يعمل الأوروبيون على استمرار الحرب وبالأخص الصقور منهم، فهم يريدون تقوية حلف الناتو بعد أن كان في موت سريري، عادت له الحياة من جديد بعد حرب أوكرانيا وزاد معدل الإنفاق عليه.

بعد مجيء ترامب لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية للمرة الثانية، تخشى معظم الدول الأوروبية من فكره وتوجهاته تجاه القارة العجوز، لهذا تعقد الاجتماعات والمؤتمرات واللقاءات الأوروبية وبشكل خاص بعد المشادة في البيت الأبيض بين ترامب ونائبه مع الرئيس الأوكراني زيلينسكي، حيث برزت من جديد الفزعة الأوروبية لدعم زيلينسكي، في محاولة منهم لبعث رسالة إلى ترامب بأنهم يقفون مع الرئيس الأوكراني ويساندونه، وهو يستفيد من هذا التعاطف معه لكي يقوي موقفه التفاوضي، ويتراجع عن استعداده لتوقيع أي اتفاقية سواء مع ترامب أو بوتين.

لا نفهم كيف تدعم أوروبا من باب (الفزعة) زيلينسكي وعصابته الفاشية في كييف وهم الذين قاموا بقتل وحرق وتدمير الروس – الأوكرانيين القاطنين في إقليم الدونباس (لوجانسك ودونيسك) طوال ثمان سنوات، ونسفوا اتفاق منيسك الموقع مع روسيا، فلم نسمع صوتاً واحداً قادماً من أوروبا ينتصر لحقوق الإنسان والأقلية القومية في تلك المناطق المنكوبة، ولم تبرز فزعتهم التي إلا بعد العملية العسكرية على أوكرانيا لإنقاذ مصير هؤلاء المواطنين من بطش عصابات النازيين الجدد في كييف الذين مارسوا سياسة قتل وحرق وتدمير تلك المناطق، وغضِّ العالم وتحديداً الأوروبيون وحلفهم الناتو النظر عما يجري هناك، حيث لا تعني لهمشيئاً انتهاكات حقوق الإنسان والقيم الإنسانية والأخلاقية، طالما مصالحهم لم تتضرر، ومنذ ثلاث سنوات وهم يقدمون الدعم المالي والعسكري إلى زيلينسكي وحكومته الفاشية التي ينخرها الفساد حيث يسرقون تلك المساعدات المالية المقدمة لهم بغية إطالة أمد الحرب لتكديس المزيد من الأموال في جيوبهم على حساب كادحي وبسطاء الشعب الأوكراني الذين لا يستطيعون التعبير عن آرائهم تجاه الحرب وعما يجري في أوكرانيا، لأن مصيرهم سوف يكون السجن أو القتل.

لا يعمل الغرب على وقف الحرب بل هناك قادة أوروبيون يصعِّدون من خطاباتهم التحريضية تجاه روسيا ويدقون طبول الحرب، مثل الرئيس الفرنسي ماكرون الذي ألقى خطاباً للشعب الفرنسي في الخامس من مارس الماضي فيه تحريضٌ واضحٌ ضد روسيا،داعياً إلى الاستعداد للحرب بما في ذلك الحرب النووية، وبدلاً من الدعوة لوقف الحرب والتأكيد على الحوار من خلال الدعوة لمفاوضات سلام بين روسيا وأوكرانيا جاء خطابه عدائياً لروسيا، وكأنه لم يتَّعظْ من دروس الحرب العالمية الثانية، وماذا تعني حرب عالمية ثالثة قادمة سواء في أوروبا أو العالم، لأنها ستكون حرباً نووية تعني فناء العالم أجمع. السلام هو الطريق الصحيح والخيار الأمثل للبشرية جمعاء.

علينا النظر لتلك الأرض الصغيرة من العالم، «قطاع غزة»، لنرى ماذا فعلت الحرب فيها من تدمير وخراب لأكثر من 80٪ منها، ناهيك عن الإبادة الجماعية التي مارسها الكيان الصهيوني طوال الخمسة عشر شهراً على الشعب الفلسطيني، حيث سقط حوالي خمسين ألف شهيد وأكثر من مائة ألف جريح، ولم يبقَ شيءٌ في غزةَ لم يعتدِ عليه العدو الصهيوني، باستخدام أسلحة متطورة ومدمرة من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وفرنسا ماكرون، فما هذا إلا نموذج لما تفعله الحروب في البشر والحجر، ما يجعل من السلام العالمي خيار البشرية نحو الاستقرار والأمان.

بعد مجيء ترامب رئيساً للمرة الثانية، تخشى معظم الدول الأوروبية من توجهاته، لهذا تكثر اجتماعها ولقاءاتها، خاصةً بعد المشادة في البيت الأبيض بين ترامب ونائبه مع الرئيس الأوكراني

نادي الجسد المتيبّس

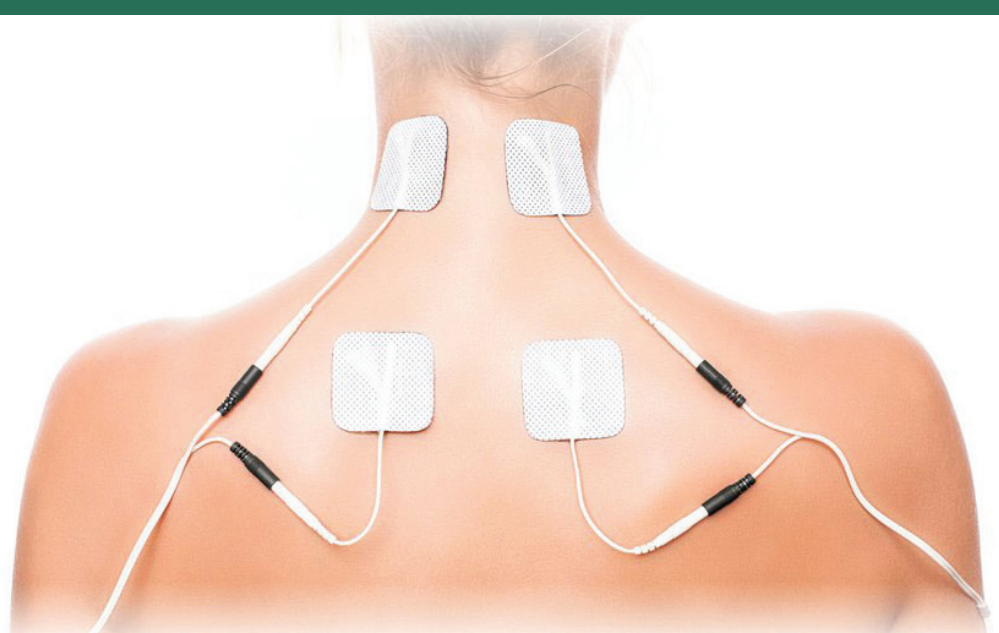

قبل عدّة سنوات رفضت السيدة شيخة (٨٥ عام) مواصلة جلسات العلاج الطبيعي بعد أن قطعت شوطاً مع ممرضة شابة تحضر خصيصا إليها يومياً، وتطبق معها أساليب العلاج الطبيعي الخاصة بالمسنين «ممن وهن العظم منهم واشتعل الرأس شيبا» وهم على أسرّتهم. احتجت شيخة قائلةً لأبنائها إنّها لم تستفد شيئاً من هذا العلاج وتفضّل عليه مدلكتها السابقة «مرّاختها» القديمة والتي تمارس معها أساليب العلاج التقليدي بالزيوت الطبيعية والكمادات الساخنة، فهي المرأة التي استطاعت في الماضي أن تزيل آلامها وأوجاعها بلمساتها الساحرة، ناهيك ’ن أنها تأنس إليها وإلى «سوالفها» ولطفها.

عصمت الموسوي

وذهبت شيخة إلى»المرّاخة» استجابة لطلبها، وتبيّن أنّها امرأة طاعنة في السن، تجلس على حصير مهترئ في غرفة متهالكة في قرية توبلي، وبصعوبةٍ متناهية وبيدين مرتجفتين وواهنتين حاولت تدليك جسد شيخة فلم تسعفها قوّتها، وما هي إلا دقائق حتى نفضت يديها ومسحتهما بثيابها معلنة انتهاء الجلسة. مشهد سوريالي بامتياز، فكلا العجوزين أوهن من الأخرى، شيخة شاخت و»مرّاختها» شاخت. ولقد تذكرت شيخة رحمها الله كل شيء ونست أو تناست العمر الذي بلغته والضعف الذي أصاب جسدها على مدى أعوام مديدة من حمل متكرر وخدمة منزلية شاقّة، فهل يصلح التدليك ما أفسد الدهر؟

اختصاصيو العلاج الطبيعي وطب المسنين المتطوّر يزعمون حالياً أنّ بالإمكان تحقيق شيخوخة صحية وآمنة ومريحة نسبياً بالرياضة والغذاء والاسترخاء الجسدي والذهني، لكن الأهمّ هو التهيئة لذلك من عمر مبكر عبر الاستمرار في بناء العضلات، وقرأت ذات مرة كتاباً بعنوان «رحلتي إلى التسعين» تصف فيه الكاتبة الطريق المثالي إلى هذا العمر المتقدّم بأقل قدر من المشكلات.

نفهم شكوى كبار السن من أجسادهم المتيبّسة وعضلاتهم الواهنة الهشة، إنه الزمن والتحوّل والتغيّر والتبدل وسنّة الطبيعة، لكن لمَ نجد الشكوى نفسها تتعاظم اليوم بين اليافعين والشباب؟

هل يعود الأمر إلى الاجهزة والتكنولوجيا والشاشات والحواسيب والهواتف التي يتسمرون أمامها بالساعات يومياً؟. كثيرون يشتكون اليوم من معضلة الدوار وأن الدنيا تلفّ من حولهم حين يرفعون رؤوسهم عن على تلك الأجهزة، ينتابهم إحساس بأن أجسادهم قد خُيطت أو انعقدت في بعضها البعض، فليس الجسد وحده هو الذي يتعفن جراء طول الجلوس وقلّة الحركة، إنما العقل أيضاً كما تشير الجامعة العريقة اكسفورد، إذ اختارت مصطلح «تعفّن العقل» بوصفها كلمة العام للتعبير عن سلبيّات الانغماس المفرط للبشر في استخدام التكنولوجيا الرقمية.

أم يعود السبب إلى البيئة والطقس المعادي شديد الرطوبة وشديد التلوث في بلداننا المكتظّة بالسيارات والأبخرة السامة التي تنفثها، والذي لا تصمد الخرسانة الإسمنتية في ظلّه، فكيف بالأجساد البشرية؟

قبل عدّة أعوام نشرت دراسة علمية تبنتها الأوساط الطبية لاحقاً، قالت فيها إن الجلوس الطويل على الكرسي هو أكبر وأخطر مسببات أمراض العصر... على أحد مواقع «تيك توت»، وفي لقطة سريعة سُئلت سيدة مسنّة: ما هو السر في العمر المديد، فأجابت: الابتعاد عن الكرسي.

هذه الحقائق هي ما فطنت إليه المصحات الرياضية والصحيّة ذات الجودة العالية، والتي يتمّ فيها أخذ المريض إلى عالم مختلف عما تعوّد عليه. ثورة تصحيح شاملة وجذرية، تبدأ منذ لحظة الاستيقاظ من النوم، حيث التنفس الصحيح والجلوس القويم والمشي والوقوف المتزن والطعام المغذي والوزن المناسب والأحذية الطبيّة الصحيّة. ذات مرة أخبرني مدرّب سباحة أنّه كان يراقب دوماً كيف يمشي الناس وكيف يقفون وكيف يجلسون فتبيّن له أن كل حركاتهم خاطئة وتشي بما هو قادم من مشكلات صحيّة آتية لا محالة، وإنّ أغلب الناس لا يدركون ذلك قبل حدوث إصابة جسدية ترغمهم لاحقاً على إعادة تصويب تحركاتهم.

والمعروف بداهةً أن النساء العصريات أكثر اساءة في التعاطي مع أجسادهن من الرجال، فإضافة إلى الحمل وتأثيره السلبي على جسد المرأة فإن تعذيب الجسد يتمثل في استعمال المشدات الضاغطة والكعوب العالية وجراحات التجميل القاسية والتي جلّ ضحاياها من النساء.

شيخة وغيرها من نساء زمنها شاخت ربما في وقتها الطبيعي، أما نحن نساء ورجال الجيل اللاحق فقد عرفنا كل أنواع أمراض العظام والعضلات والانزلاق الغضروفي والهشاشة المبكرة والتوتر المَرَضي وتعفّن الدماغ قبل الاوان.

وجـــوه مـــن الـــزمـــن القـــاسي

قاسم الحلال

حديثت اليوم عن رجال كبروا وشاخوا وارتسمت على وجوههم تجاعيد الزمن لأنهم ظلوا يواصلون انتزاع قوتهم وقوت من تبقى على ذمتهم، يقفزون من مهنة إلى أخرى، رجالاً قسى عليهم ضنك الحياة، أردنا أن نسلط الضوء عليهم، علنا نؤثر في النفوس ونُعّرف الناس كيف عاشوا وكدحوا رغم بؤس الحياة وكيف تحدّوا الفقر والعوز دوان أن يعرفوا معنى التحدي. عاشوا على سجيتهم في وهج الشمس الحارقة وصقيع البرد، في بيوت تحت سقوف مثقوبة تتخللها الأمطار، لا يعرفون للعلاج سبيلاً حين يشعرون بالسقم والأمراض التي تتزايد عليهم، يعيشون على أكل المآتم والمساجد والمناسبات، يفرحون للمناسبات التي يوجد بها الوجبات، حيث تغنيهم عن طبخهم المتواضع.

1- عزيز (جيرمن)، كُنّي بهذا الاسم من كلمة (German)، حيث يبيع معدات ألمانية، رجل في الستينات من العمر، يتجول بعربة في الأسواق ومنطقتنا (النعيم)، يصفّ عليها معدات من مفكات ميكانيكية ومفكات مسامير لولبية ومطارق، معدات تايوانية وصينية يزعم بأنها ألمانية الصنع قاصداً متانة جودتها معتقداً أن الناس لم تقرأ هوية صناعتها، وذلك للترغيب في شرائها، يأتي من السوق بشعره المنقوش وثوبه المتسخة، كأنها ثوب حداد ونعاله المقطع لقدمه، حيث يربطه بخيوط يسويه كلما "خلس" من رجليه، وكان كلما أراد أن يحدق يلوذ بوجهه لكونه كريم العين، ومن جسمه تفوح رائحة منفرة، ولأنه كثير المزاح يلزم الناس بالشراء، حيث يقوم بتخفيض السعر بصورة تثير الضحك، وفور تواجده يتحلق أبناء المنطقة حوله، وحين يقولون له هذه صناعة تايوان يرد عليهم: لا تهتم للكتابة هذه صناعة جيرمنية والله.. صدقوني فيضحك الناس لظرافة رده.

2- عباس (التحرير) وسمي بـ (السخاطة)، سمي بـ (التحرير) لأنه على الدوام يستمع للأخبار وخصوصاً أخبار انتصارات المقاومة في الجزائر بقيادة جبهة التحرير ضد الاستعمار الفرنسي آنذاك، وعندما يثمل من الشراب يصرخ في الشوارع تحيا جبهة التحرير (اليوم قتلوا ثلاثة من الفرنسيين، تحيا جبهة التحرير)، وسمي بـ (السخاطة) لأنه يشتري كحولاً من مصنع محلي (وطني) بالجالون ويقوم بتعبئته في قوارير #يمتو فارغة، وبعد الانتهاء يتبقى القليل في الجالون يقوم باحتسائه، وعندما يخرج قاصداً غسل السيارات وهو يصرخ كعادته تحيا جبهة التحرير، تقبض عليه شرطة النجدة وتسلمه لجهة التحقيق بسبب السكر وماذا يقصد بتأييده بهتافه، وطول الطريق يقول لهم والله العظيم لم أشرب الا السخاطة ويقصد ما تبقى في الجالون، وبما أنهم يعرفون سذاجته يطلق سراحه.

عباس رجل طيب لكن سذاجته كثيراً ما تعرضه لمواقف حرجة ولأنه يبيع الكيروسين، حيث يعبئه أيضاً في قوارير الـ#يمتو الفارغة، ويقال إنه في أحدى المرات، وكان ثملاً، أعطى امرأة قارورة كحول بدلاً من الكيروسين دون أن يقصد، وعادت وهي تصرخ (سوّد الله وجهك على هذه الفعلة).

3- دلاى وأخوه رحيم، أخوان من أصول فارسية، رحيم الأخ الأكبر كان يعمل في مخبز حلويات في المنامة (الجامع)، في صنع (شعر بنات) والعثبري (حلاوة في أعواد) وحلاوة حلاّل المشاكل، ودلاى الأصغر يعمل في بيع الكحول الوطني، حيث يقوم بتقطير هذا الكحول بنفسه ومن ثم يعبئه في قوارير لبيعه، ومن وقت إلى وقت يضبط من قبل الأمن ويسجن لمدة شهر ويغرّم، لكنه يعاود ممارسة هذا العمل، حيث يجد نفسه رغم هذه العقوبة هو الرابح، وبعد فترة اقترح على أخيه أن يترك العمل في مخبز الحلويات ويعمل معه في بيع الكحول لكي يساعده في توسعة العمل فوافق رحيم على هذا الاقتراح. استمرا لسنوات في هذا العمل حتى توفى رحيم وبقي دلاى.

4- السيد (أبو اللوبة) رجل قصير القامة يأتي باكراً في الصباح راكباً حمار من قرية أبو صيبع إلى منطقة النعيم، يحمل على ظهر الحمار «جفيرين» مصنوعين من خوص النخيل يضع فيهما البقوليات المسلوقة: اللوبة والحمص (نخج) والفول (باقلاء) التي اعتاد أهل البحرين الإفطار عليها، يأتي منادياً: لوبا.. نخج وباقلاء منادياً (تعالوا قبل ما يبرد .. لوبة ونخج.. تعالوا قبل ما يبرد).

عادة تأتي النسوة حاملات قدورهن ويحيونه بحكم معرفتهن به، هذا السلوك وهذه العادات خلقت علاقات طيبة بين السيد وأبناء المنطقة وخصوصاً النساء اللاتي أثرت فيهن طيبته مع مرور الزمن الأمر الذي جعله محبوباً وصار صديقاً لبيوت المنطقة، صار يدخل البيوت ليشرب الشاي ويدخن الغليون ويتبادلون معه الحديث والطرائف، وحين يغيب لمرض أو لطارئ يترك غيابه أثراً في نفوسهم.

هذه نبذة بسيطة عن وجوه طيبة، مرحة. رجال كانوا موضع أحاديث الناس في حياتهم، وظلت ذكراهم حية بعد رحيلهم.

اليسار الجديد
أصولية عابثة وعُصابٌ جمعي

تتكرّرُ على مسامعنا كثيراً عبارةٌ قالها (غوبلز) وزير الدعاية النازية: كلّما سمعتُ كلمة (الثقافة) تحسّستُ مسدّسي. اليوم صار كثيرٌ منا يتحسّسُ رائحة أزمة عالمية النطاق كلّما سمع مفردة (الجديد) ملحقةً بتيار ثقافي أو مفهوم أو سياسة.
الأمثلة كثيرة لو شئنا ذكرها. يكفي أن تضع سابقة (neo) قبل المفردة الانكليزية أو (الجديد/ الجديدة) بعد المفردة العربية حتى تشهد سحراً يمسّها ويجعلها تحلّقُ في فضاء غير ذاك الذي اعتادت التحليق فيه من قبلُ. ربّما وحده كتاب (الأورغانون الجديد) لفرانسيس بيكون ظلّ محافظاً على وهجه التنويري رغم أنّه كُتِب قبل بضعة قرون.

لطفية الدليمي

إطلالتي الأولى مع (الجديد) جاءت من بوّابة الرواية: الرواية الجديدة Nouveau Roman كما سمّاها مبتدعها الفرنسي آلان روب غرييه الذي دافع عن مفهومه الجديد للرواية في سلسلة محاضرات ألقاها في بغداد منتصف ثمانينات القرن الماضي. لم يلقَ مفهوم الرواية الجديدة تعضيداً عالمياً، وتُرك ليذبل سريعاً كما شأن الكثير من المبتدعات المفاهيمية الفرنسية التي غالت في شكلانيتها المرهقة. كيف أتوقّعُ من الرواية أن تكون درساً خالصاً لِ (هرمينيوطيقا تأويلية) على الطريقة الفرنسية؟

ثمّ هناك الإستشراق الجديد. كان الدرس الإستشراقي الكلاسيكي متخماً بالقيمة المعرفية، ثم استحال على أيدي الإستشراقيين الجدد شيئاً مثل خبرة جاهزة تُصنَعُ طبقاً لما يريد أرباب السياسة. انتقلت الخبرة الإستشراقية الجديدة من قلب الجامعات العريقة إلى بيوتات صناعة وتشكيل الرأي العام، وصار الإستشراق الجديد يُطبخُ بسرعة قياسية ويُعامل كمنتج تقني: صاروخ كروز مثلاً أو أحد المسيّرات القاتلة.

الليبرالية هي الميدان الثالث الذي جاء تطبيقاً فائق السوء للجديد. الليبرالية هي، ببساطة شديدة، حاملة شعلة الميراث الأسمى لعصر التنوير الأوربي والعقلانية الإنسانية والارتقاء القيمي البشري وتحرير العقل من مقيّدات الخرافة ومعيقات الإنطلاق العلمي والتقني؛ لكن ما أن سبقتها مفردة (الجديد) وصارت (الليبرالية الجديدة Neoliberalism) حتّى خرجت عن سياقها واستحالت مفهوماً إقتصادياً خالصاً يبشّرُ بتغوّل لا يشبع لرأسمالية منفلتة.

أمّا أكثر المفردات التي خالطتها الجدّة وأحدثت انقلاباً فيها فهي اليسار. ارتبط اليسار تاريخياً مع الماركسية والشيوعية؛ لكنما هذا الإرتباط يبدو تقسيمياً وقسرياً ونزعة آيديولوجية تمييزية إلى حدّ بعيد. اليسار في مفهومه العام هو قرينُ الأخلاقيات الإنسانية الرفيعة، وأظنُّ هذا هو ما جعله لصيقاً بالماركسية. الحسّ الإنساني العام والرفيع ليس حكراً على الماركسية بالتأكيد؛ إذ أنّ معظم المفكّرين والفلاسفة الغربيين كانوا ذوي منازع إنسانية يمكن وصفها باليسارية في جانبها الأخلاقي القائم على الإحساس بضرورة العدالة والمساواة والتكافؤ الإجتماعي. لم يخفت وهج الماركسية في العالم حتى اليوم، وثمّة الكثيرُ من الأصوات الأكاديمية اللامعة والرصينة في قلب الجامعات الأمريكية تدعو إلى مزاوجة الماركسية بالرأسمالية سعياً لبلوغ تركيب إقتصادي–سياسي أكثر ملاءمة وعدالة للمعيش البشري. قد لا تنجح المحاولة في عصرنا هذا، وقد تنجح بعد خمسين أو مائة سنة. المحاولة هي الأهمّ. ليست الماركسية في النهاية شيطاناً كما يصوّرها بعض عتاة اليمين. الماركسية نظرية إقتصادية–ثقافية مركّبة وليست تخليقاً آيديولوجياً مقفل العقل والروح، وهي في هذا الجانب الإرتقائي الخاص تشبه الرأسمالية تماماً.

بدأت بواكير اليسار الجديد منذ منتصف خمسينات وستينات القرن العشرين، وكانت تلك البواكير مقبولة ولها معقولية مسوّغة: الخروج من جلباب الرؤية الشمولية الصارمة لمفاهيم الأحزاب الشيوعية في الغرب لتتناغم مع مواريثه السياسية والثقافية. أراد اليساريون الجدد تلطيف الشمولية بحسّ ديمقراطي تَعزّز في الثورة الثقافية عام 1968، وليس غريباً أن يكون (هربرت ماركوز) مؤلّف كتاب (الإنسان ذو البعد الواحد) هو أحد عرّابي اليسار الجديد.

لستُ أسعى هنا لكتابة سرد تاريخي لمسيرة اليسار الجديد؛ لكنّ ما أريدُ التأكيد عليه هو أنّ هذا اليسار إنتهى إلى رؤية غريبة لا علاقة لها بالمعضلات الإنسانية العامّة التي توصف بأنّها عالمية النطاق Large–Scale. لو شئتُ توصيف إنشغالات اليسار الجديد لقلتُ أنّها مغالاةٌ في الجسدانيّة: جَعْلُ الجسد البشري بتكويناته البيولوجية محوراً لثقافة جندرية تغوّلت حتّى صارت تخاطبُ الحقوق الإنسانية عبر لافتات ثقافية وإنسانية فضفاضة وقسرية ومفتعلة تتشمّمُ منها رائحة مؤامرة.

تموضَعَ اليسار الجديد في أروقة الجامعات وتعشّش فيها عبر مبحث الدراسات الثقافية التي صارت شيئاً فشيئاً تُعلي شأن دراسات الأقلّيات والهجرة والتمايزات الجندرية والهوية. يحدسُ المرء المتابع بدقّة لتاريخ هذه الدراسات وكأنّها صُمّمت لسيطرة جماعة من الدخلاء على مفاصل السلطة الحقيقية في البلدان متذرّعةً بشعارات العولمة تمهيداً لإحداث إنقلاب مفاهيمي للفرد بشأن كلّ الموضوعات الجوهرية في العالم، ويبدو أنّ الهدف الأعلى هو تخليق أفراد متمركزين على ذواتهم بما يشبه عصاباً جماعياً لا حدود لمدياته. امتدّ تغوّل اليسار الجديد حتى بلغ آفاقاً منفّرة تحاصرك أنّى ولّيت وجهك: تفتح موقع (نتفليكس) مثلاً للتمتّع بفيلم سينمائي

جديد فترى أنّ (المثلية) حاضرة فيه بما يشبه الإلزام أو الشرط المسبّق. أذكر في هذا السياق عندما أعلن (بايدن) تشكيلته الحكومية حرص على وجود نسبة كبيرة من الملونين فيها: وزير الدفاع، ورئيس الأركان، وممثلة أمريكا في الامم المتّحدة، وحتى الناطقة بإسم البيت الأبيض كانت سوداء ومثلية. ثمّ هناك هذا القانون السيّئ المسمّى DEI، وهو اختصارٌ لمفردات التنوّع والمساواة والشمول، مفادُهُ يتوجّب عليك كحكومة أو قطاع خاص أن توظّف نسبة من الملونين والمهاجرين وذوي التمايزات الجندرية حتى لو تعارض هذا مع معايير الكفاءة. شيء أقرب إلى إعلاء شأن الموالاة الحزبية والعشائرية على الكفاءة المهنية بالكيفية التي حصلت وتحصل عندنا.

أخطرُ المفاعيل التي ستنجم عن سياسات اليسار الجديد هو تعاظم قانون الأصوليات المتقابلة. اليسار الجديد بات أقرب لتيار أصولي يبعث على الغثيان، ومن البداهة أنّ كلّ أصولية ستعمل على استيلاد أصولية مقابلة أكثر عنفواناً منها. حتّى أكثر الناس رهافةَ حسٍّ ورقّة إنسانية سيشعرُ وكأنّ (يداً خفية) تديرُ اللعبة من وراء ستار تمهيداً لإنقلاب خطير في المفاهيم والسياسات، وسيشعر أن لا فكاك من إعتماد سياسات خشنة طالما أنّ السياسات الناعمة لم تعمل إلّا على مفاقمة تغوّل أصولية اليسار الجديد. أظنّ هذا هو ما يحصل اليوم في أمريكا والقارة الأوربية. سيجتاحُ اليمين العالم الغربي، وسنشهدُ سياسات خشنة سيصطلي أصوليو اليسار وسائر الأصوليات الأخرى بنارها الحارقة. هكذا هي نهايات الأصوليات التي تتذاكى وتسعى لنهش المجتمعات عبر ما تحسبه خاصراتها الليّنة سهلة الإختراق.

ليست لي مشكلة مسبّقة مع اليسار الجديد، ولستُ من مناصري اليمين. لم أعُد أحفل بالجهات الآيديولوجية. الأعالي والأعماق فقط هما ما يشكّلان منطقة اهتماماتي. المعضلة بالتحديد مع اليسار الجديد تكمن في أنّه تمحور على إنشغالات جسدانية، وهذا التمحور بوّابة لشتى صنوف العصاب المرضي كما هو مشخّصٌ في علم النفس الإكلينيكي. هل تتخيّلون كيف هو المستقبل عندما لا تترك فتاة النظر إلى وجهها في المرآة ولا ترتاح لرؤية تقويسة أنفها التي لا تشبه تقويسة أنف فلان أو فلانة؟ كيف نتوقّع أن يهتمّ مثل هؤلاء بأمر المعضلات العالمية المهدّدة للبشر وهم مستعبدون لرؤية أجسادهم في المرايا صباح مساء، أو يتساءلون: ما نوعي الجندري؟ هل أقرّرُ أن أكون رجلاً أو إمرأة بعد الآن؟ الأمر ليس مزحة. إنّه معضلة عالمية حقيقية واسعة النطاق.

لو أنّ أمراً يسعدُني في كلّ هذه المعارك الآيديولوجية فهو أنّ الماركسية لم تتلوّث حتى اليوم. لم نسمع حتى اليوم بعبارة (الماركسية الجديدة)، وظلّت الماركسية محافظة على رصانتها الإنسانية حتى لو خضعت لتحديثات مفاهيمية يرى فيها كثيرون إنقاذاً لرأسمالية نيوليبرالية مؤذية للإنسان والبيئة.

أتخيلُ عظام ماركس وهي تضجُّ في قبرها وتتساءل: ما هذا اليسار الذي تسمّونه جديداً؟ أهذا هو الذي إنتهى إليه بعضُ ميراثي؟ لو كان الأمرُ هكذا فبئس الميراثُ وبئس الوارثون !.

كم يُكلّف الاستقـــرار؟

حسين الشويخ

ما مدى تكلفة عدم الاستقرار الاقتصادي على الناس وهل هم على استعداد لتحمل التكاليف لتجنبه؟ تم إجراء مثل هذا المسح في 13 دولة. وأفاد الناس أنهم مستعدون للتخلي عن 5٪ من استهلاكهم طيلة حياتهم من أجل تحقيق الاستقرار الاقتصادي، و5٪ أخرى من أجل تحقيق المستوى المطلوب من التضخم.

تخيل عالما لا توجد فيه طفرة أو كساد اقتصادي: لا ركود، ولا ارتفاع حاد في معدلات البطالة، ولا تضخم، ولا أزمات مالية ــ فقط نمو اقتصادي مستقر. بالنسبة للعديد من الناس، قد يبدو مثل هذا العالم مثاليًا. لكن ما الذي قد يكونون على استعداد للتضحية به لتحويل هذا الحلم إلى واقع؟ هذا هو السؤال الذي طرحته مجموعة من الاقتصاديين من البنك المركزي الأوروبي، وجامعة يونسي الكورية، وعدة جامعات أمريكية – جامعة شيكاغو، وجامعة نيويورك، وجامعة كاليفورنيا في بيركلي، وجامعة تكساس في أوستن. وفي دراستهم، قام خبراء الاقتصاد بتقييم التكلفة التي يتحملها المستهلكون نتيجة لتقلبات دورة الأعمال والتضخم، كما يراها المستهلكون أنفسهم.

إن السؤال ليس عبثا: لقد كان خبراء الاقتصاد منذ فترة طويلة يقيسون تكاليف دورات الأعمال (الطفرة والكساد)، وتكاليف ارتفاع التضخم، والتقلبات الاقتصادية الكلية وعدم اليقين، وهذا القياس مهم لتقييم الفوائد التي يحصل عليها المستهلكون من الحد من مثل هذه الظواهر. عندما تحدث الأزمات، يصبح مكافحتها والتخفيف من آثارها المحور الرئيسي للسياسات الاقتصادية للدول.

ومع ذلك، ورغم أن الأزمات تضرّ بالرفاهة، فمن المعتقد أنها تسبب القلق للناس فقط عندما تحدث. وبشكل عام، لا يشعر الناس بالقلق بشكل خاص بشأن التقلبات الاقتصادية الكلية في حد ذاتها، لأنهم يميلون إلى ترشيد استهلاكهم ــ أي الادخار في الأوقات السيئة وإنفاق المزيد في الأوقات الجيدة، وبالتالي تعويض نقص الاستهلاك في الفترات السيئة.

إن المستهلكين أنفسهم سيكونون على استعداد للتضحية بمئات الأجزاء فقط من استهلاكهم طيلة حياتهم من أجل استقرار الدورات الاقتصادية، كما زعم الحائز على جائزة نوبل وأحد أكثر الاقتصاديين تأثيراً في القرن العشرين روبرت لوكاس في كتابه «الأولويات الاقتصادية الكلية». وفيها أظهر أن النمو الاقتصادي على المدى الطويل يشكل عاملاً أكثر أهمية في زيادة الرفاهة من تثبيت التقلبات الاقتصادية على المدى القصير. وإذا ركزنا على القضاء على هذه التقلبات، فإن مكاسب الرفاهة ستكون أصغر كثيراً من الزيادة البالغة 0.1٪ في النمو الاقتصادي الطويل الأجل والتي تخلق تأثيراً تراكمياً. وعلى الرغم من أن الركود أو الارتفاع المؤقت في معدلات البطالة قد يجعل الناس يشعرون بالقلق، فإن تأثيرهما على الرفاهة في الأمد البعيد ضئيل نسبيا. وبناء على ذلك، يعتقد لوكاس أن السياسة الاقتصادية ينبغي أن تركز ليس على الاستقرار، بل على الأهداف طويلة الأجل مثل زيادة الإنتاجية، والابتكار، والاستثمار في رأس المال البشري.

وتنطلق النماذج الاقتصادية الكلية التقليدية على وجه التحديد من هذا، أي من أولوية النمو الاقتصادي الطويل الأجل، وليس من تثبيت التقلبات قصيرة الأجل.

ولكن مؤلفي دراسة جديدة حول تكلفة دورات الأعمال قرروا اتباع نهج غير تقليدي، وبدلاً من حساب تكلفة التقلبات الاقتصادية نظرياً، سألوا الناس أنفسهم عنها ــ ما هو المبلغ الذي قد يكون الناس على استعداد لدفعه في مقابل غياب مثل هذه التقلبات. أجرى الباحثون استطلاعات رأي المستهلكين في 13 دولة متقدمة (أكثر من 36 ألف شخص في المجموع): الولايات المتحدة، وكوريا الجنوبية، وأكبر دول منطقة اليورو ــ ألمانيا، وفرنسا، وإسبانيا، وإيطاليا، وهولندا، والنمسا، وبلجيكا، وفنلندا، واليونان، وأيرلندا، والبرتغال.

لقد تبين أن الناس على استعداد للتخلي عن 5–6٪ من استهلاكهم مدى الحياة لتجنب الركود الاقتصادي، وهم على استعداد أيضًا للتضحية بـ 5٪ من استهلاكهم مدى الحياة لتحقيق المستوى المطلوب من التضخم. وهذا أكثر بكثير من النسبة المئوية القليلة التي تفترضها النظرية الاقتصادية التقليدية. وبعبارة أخرى، ورغم الاعتقاد بأن استقرار دورة الأعمال ليس له تأثير يذكر على رفاهة الناس في الأمد البعيد، فقد تبين أن الناس أنفسهم يعتقدون خلاف ذلك.

كنفاني مع لميس نجم

«مهنتي أن أكتب قصة»
كنفـــانـــي وفـــــن القصـــــة القصيـــــرة

محمد ديتو

«بعد كل هذه السنوات يبدو لى أنى عرفت أخيراً من أنـا.. وأين طريقـي ولذلك فأنـا لن أستطيع أن أكتب لك شعراً لأني لست شاعراً، ولا مقالاً لأنى لست كاتب مقال .. ولكى أحافظ على وعدى لك، وهديتى اليك، قررت أن أكتب لك قصة، فمهنتى أن أكتب قصة.“

هذا ما كتبه غسان كنفاني في الحادي والعشرين من يناير 1963، في إهدائه لقصة ”القنديل الصغير“ إلى لميس نجم، ابنة شقيقته الكبرى فايزة، بمناسبة عيد ميلادها الثامن.

كان عمره آنذاك سبعة وعشرون عاما. بعد تسع سنوات من هذا الإهداء، استشهد غسان ومعه لميس، في انفجار عبوة ناسفة زرعها عملاء الموساد في سيارته في بيروت.

جوهر قصة ”القنديل الصغير“ يكمن في إشكالية تنفيذ وصية أحد الملوك بعد وفاته، والتي تنص على أن ابنته الوحيدة سيحقّ لها أن تحكم من بعده، فقط إن إستطاعت ”أن تدخل الشمس إلى القصر“. ولكن كيف ستتمكن الأميرة الصغيرة من تحقيق هذه المهمة المستحيلة؟ . عبر تعرجات حبكة القصة، وتلافيفها المشوقة، سننتهي الى مشهد ختامي: ”شاهدت الأميرة منظراً عجيباً، ففي الأُفق المظلم البعيد كان آلافُ الرجال يحملون القناديل ويتقدمون نحو القصر من كافة النواحي.. وبعد قليل وصل الجميع إلى أبواب القصر التي كانت صغيرةً ومغلقةً، وازدحموا أمامها، وفي كل لحظة كان الرجال حَمَلَةُ القناديل يتكاثرون دون أن يستطيعوا الدخول بسبب الأبواب الصغيرة، فطلبت الأميرة من الخدم أن يهدموا الأسوار العالية، وأن يُوسِّعوا الأبواب كي يتيسَّرَ للجميع الدخول إلى باحة القصر“. سيقول لها حكيم القصر العجوز: ” هل تستطيعين أن تحملي كل هذه القناديل دفعةً واحدة“ قالت الأميرة: ”طبعاً، لا“، فقال الحكيم: ”وكذلك الشمس... إنها أكبر من أن يُمسكها رجلٌ واحدٌ أو امرأة واحدةٌ..“، قالت الأميرة: ”لقد فهمت كلّ شيء الآن.. إنّ القناديل الصغيرة مجتمعةً هي الشمسُ التي قصدها والدي».

في ”القنديل الصغير“ تغلّب غسان على معضلتين: الأولى تكمن في صياغة اشكالية سياسية معقدة (ماهية الحكم العادل الجدير بثقة الشعب) في قالب قصة قصيرة ذات طابع مستمد من الأساطير الشعبية، والثانية هي كيفية سرد تلك الإشكالية وحلّها بلغة بسيطة تفهمها طفلة في الثامنة من عمرها. المثير أنه عندما كتب غسان هذا الإهداء، كان منغمسا في العمل السياسي من رأسه حتى أخمص قدميه (كان كاتب مقالات سياسية بالأساس)، فكيف له، والحال كذلك، أن يقول ”مهنتي أن أكتب قصة“ ؟. هل واجه تناقضاً، أو تعارضا بين شغفه الأدبي وإلتزامه السياسي؟

عاطفة الكتابة الكاملة لدى كنفاني

ربما نجد التفسير لدى فضل النقيب (أحد أعزّ أصدقائه) حين وصف نشاط كنفاني في بيروت التي وصلها عام 1960، وهو في الرابعة والعشرين من عمره: «في الأعوام الاثني عشر التي قضاها غسان في بيروت، نشر خمس روايات، وكتب ثلاث روايات غير مكتملة تمّ نشرها بعد استشهاده، كما نشر أربع مجموعات للقصة القصيرة، ومسرحيتين، ومجموعة من الدراسات التاريخية – السياسية – الأدبية، ومئات من المقالات السياسية والفكرية والأدبية التي كان يكتبها بشكل يومي، بما أنه محرر القسم الثقافي في مجلة «الحرية»، ثم رئيس تحرير جريدة «المحرر»، وبعدها رئيس تحرير جريدة «الأنوار»، ثم رئيس تحرير مجلة «الهدف». ونشر غسان مئات المقالات بأسماء مستعارة مثل فارس فارس وغيرها. وهذا يعني أنه يكتب في اليوم الواحد الأخبار الرئيسية في الجريدة، والافتتاحية في الصفحة الأولى، ومقالا في القسم الثقافي، كما كان يكتب جزأ من الرواية، وجزءاً من القصة القصيرة، وجزءاً من الدراسة الفكرية». ويضيف النقيب: «كان مسكونًا بعاطفة الكتابة الكاملة: كتابة القصة وكتابة نقدها، كتابة الخبر السياسي وكتابة التعليق عليه، الكتابة الإبداعية والكتابة الفكرية، الكتابة العلنية والكتابة السرية».

ويضيف النقيب «الكتابة تصبح عملًا مقاومًا عندما تغيّر من حياة القرّاء، ومن هنا ندرك أن عاطفة الكتابة الكاملة عند غسان كانت تعبيرًا عن الرغبة في التغيير الكامل: التغيير بواسطة الخبر، والتغيير بواسطة المقال، والرواية، وكتابة البحث. «الكتابة الكاملة» عند كنفاني هي «مقاومة كاملة» .

أمر آخر جدير بالانتباه، فالروائي عند غسان يسبق السياسي في فهم الواقع. في إحدى المقابلات مع صحفي سويسري قال كنفاني: «باستطاعتي القول بأن شخصيتي كروائي كانت متطورة أكثر من شخصيتي كسياسي، وليس العكس، وينعكس ذلك في تحليلي للمجتمع وفهمي له... إن قصصي نفسها تفتقر إلى التحليل. ولكن هناك الأسلوب الذي يتصرف به أبطال القصة والقرارات التي يتخذونها والأسباب التي تدفعهم لاتخاذ هذه القرارات وإمكانية بلورة تلك القرارات إلخ.. إني أعبر في رواياتي عن الواقع، كما أفهمه، دون تحليل. . لقد دهشت عندما سمعت حوار أبطالي حول مشاكلهم (يقصد فيلم «المخدوعون» المقتبس عن روايته «رجال في الشمس) واستطعت أن أقارن حواراتهم بالمقالات السياسية التي كنت قد كتبتها في الفترة الزمنية ذاتها، فرأيت بأن أبطال القصة كانوا يحللون الأمور بطريقة أعمق وأقرب إلى الصواب من مقالاتي السياسية».

المعايير الأربعة لكتابة القصة القصيرة:

منذ بداياته الأولى، تعامل غسان كنفاني مع كتابة القصة القصيرة بوصفها «حرفة»، وكأنها منحوتة يعمل على تشكيلها وصقلها. عملية الكتابة ذاتها ستتحول إلى ورشة عمل ينخرط فيها بحماس وشغف مع من يحبهم. فضل النقيب أشار إلى أن غسان «دوماً يناقش قبل قراءة القصة ليقدّم لها وما هي الفكرة التي يبغي عرضها من خلالها، ثم يناقش بعد قراءة القصة الآراء التي يسمعها، ومن النقاش تتضح الفكرة في رأسه: لقد غيّرته الكتب، ويريد أن يغيّر الآخرين. يريد أن يكتب شيئاً يفعل بالقارئ ما فعلته به «البؤساء» أو «الأم» ولكن بشكل فلسطيني. ويعكف على القلم والورق ساعات طويلة. منذ البداية كان «محترفا» يقضي النهار كله، أو الليل كله مع القلم دون ملل أو ضجر. يأتي للأصدقاء بقصة، وبعد يومين يُغيّرها، ويغيب فترة أسبوع أو إسبوعين ليأتي بدفتر فيه مجموعة قصص جديدة.

بعد كل نقاش وشجار يغيّر في القصص، يأخذ موقفاً من واحدة، ويدمجه بواحدة أخرى، يتخلى عن بعض القصص، ويتحدث عن واحدة أو اثنتين، ثم ينسى كل شئ ويبدأ بكتابة قصة جديدة..».

في إحدى المرات أفصح له كنفاني عن التحدي الذي يواجهه باستمرار: «صعوبة القصة إني أريدها واقعية مئة بالمئة، وبنفس الوقت تعطي شعوراً هو غير موجود.» سنعتبر ذلك بمثابة المعيار الأول الذي يضعه غسان لقصصه.

المعيار الثاني يكمن في استخدام كلمات بسيطة وغير منمقة للتعبير. يقول غسان: «أنا لا أحبّ كاتب القصة الذي يستعمل كلمة «عسس» بدل «حرس»، أو «أتزمل» بدل «ألبس».

أما المعيار الثالث فهو الابتعاد عن المغالاة في التعابير، أو ما يطلق عليها غسان علة «اليوسفوهبية» (نسبة الى مسرح يوسف وهبي)،«حيث يتساقط القتلى بالرصاص والسواطير والسكتة القلبية غير المتوقعة بين كل سطر وسطر». وأخيرا المعيار الرابع وهو تجنب «استغباء القارئ»، أي أن الكاتب يشرح القصة ومعناها للقارئ.

لخص كنفاني رؤيته بقوله: «من المعروف أن العمل الفني، وعلى وجه الخصوص القصة القصيرة، هو عمل ينجز الكاتب نصفه، ويترك النصف الآخر للقارئ. والبراعة الفنية هي أن يستطيع الكاتب بطريقة غير مباشرة إعطاء القارئ كل المفاتيح التي تستطيع أن تدله على أبواب وطرق ومسالك ذلك النصف غير المكتوب في القصة....فالمفروض أن تكون القصة القصيرة حافزا لخلق عالم خاص داخل رأس القارئ، والقارئ مخلوق عدواني عنيد لا يقبل الوعظ ولا التعليم بالمحقن، وهو يفضل أن يكون موجوداً في العمل الفني على قدم المساواة مع الكاتب، سواء كمعارض أو مكمل أو بطل أو ضحية. أما شخصية المتفرج من وراء لوح زجاج فلا تخلقها إلا أكثر القصص فشلاً. عكس ذلك نسميه: «الإستغباء»، أي الاعتقاد بأن القارئ رجل تافه لايفهم، وأن على المؤلف أن يدق الفهم في رأسه بالمطرقة!».

من أطرف ما كتبه كنفاني في فن القصة القصيرة سنجده في مقالة منشورة بتاريخ 1968/4/14، بعنوان «فن القصة وميكانيك الأسانسير!» تضمنت نقده لمجموعة قصص بعنوان «النافذة المغلقة» كتبها كاتب اسمه يوسف جاد الحق. غسان طرح مثالاً بالغ الطرافة: «إن كتابة القصة القصيرة عملية مرهقة للغاية تحتاج إلى موهبة قول الشئ بإختصار شديد الإيحاء. إنها من حيث الصعوبة تشبه أن تعمل على كسب موافقة سيدة جميلة، تراها لأول مرة في المصعد، لتقبل منك قبلة عرمرمية قبل أن يصل المصعد اللعين إلى الطابق الخامس، حيث سيتوجب عليها أن تغادرك! ولكن يوسف جاد الحق يضع نصف دزينة من السيدات، جميعهن يردن مغادرة المصعد المذكور في الطابق الأول، وهو بين أن يكبس الزر، ويصلح وضع ربطة عنقه، ويلبس إبتسامته، وينقل بصره بين وجوه النسوان في المصعد، يكون الذي ضرب قد ضرب والذي هرب قد هرب». ختم غسان مقالته بالقول: «إن يوسف جاد الحق لا يمتلك الصبر، ولا الخطة المسبقة، وهو يستعجل قصته ويتركها تهوي من تلقائها دون هدف ودون نظام ودون هيكل عظمي. ولو أنه يكتب بدل القصص العشر قصة واحدة يضع فيها كل اهتمامه لقرأنا على الأقل قصة من الدرجة الأولى، فهل يفعل؟».

سعى كنفاني الى الإنصاف وعدم المغالاة في الإطراء، أو النقد. نقرأ له في وصف أحد الكتاب: «إنه صوت جديد ومن الضروري أن يُسمع. قلمه رشيق ويغوص إلى الأعماق ولكنه أحياناً يثرثر كثيراً دون أن يقول شيئاً حقيقياً..ويلجأ للتعقيد وذلك أغلب الظن لغموض في رأسه وليس لغموض في فهمنا». ويختم تقييمه بتعبير طريف: «إنه سائق جيد، سيارته على أحسن ما يرام، ولكنها «مخنقة»!.

CV

المختـــل والمحتـــل

د. زهراء المنصور

تشغل الصور التي يقدّمها الفنانون حيّزها الجمالي والثقافي بقدر عمقها واحترافية العمل بها، وكأنَّ اللّه خلقهم لتوثيق الحياة بكل ما فيها، حتى بالقبح الذي يجمَّل تحت أيديهم. وكل تجربة فنية حريٌّ أن يسلط الضوء عليها؛ حتى تأخذ حقها من التحليل والتقييم، ومحاولة فهم الحالة من الداخل، والنتيجة الأخيرة التي تنال الإعجاب من عدمه، وهذا يحصل بطبيعة الحال التي تحددها ذائقة الجمهور.

ويُحسب للبرنامج البحريني "رمضان شريف" الـذي يقدم للسنة الثانية على التوالي، تقديم مجموعة أفكار مسلية بالمقام الأول، ثم تندرج –تحت هذه الصفة العامة– المسائل الأخرى التي ترى في الرسالة الفنية عموماً مصدراً جيداً لإيصال فكرة ما، أو تحفيز التفكير فيها، أو حتى أن تكون مسلية لمجرد التسلية، وهو حقّ مشروع لا يشوبه شيء ولا ينقص منه، بل إنه يضمن المشاهدة العائلية وكل الفئات لمعرفة المحتوى مسبقاً؛ أي أنه برنامج ذائع الصيت، وله قاعدة جماهيرية كبيرة توضحها أرقام المتابعين، وعدد المشاهدات، وأيضاً نوعية الملاحظات التي تكتب في خانة التعليقات.

ويقوم البرنامج في الأساس على صانع المحتوى البحريني الشاب أحمد شريف، الذي بدأ من فن المسرح، وانطلق بعدها لمنصّات التواصل الاجتماعي التي أثبت حضوره وفاعليته فيها، حتى أصبح متابعوه بالملايين من دول الخليج والأقطار العربية – كما توضح التعليقات المختلفة في محتواه –، ما يجعله نموذجاً ناجحاً، ليس بالعدد المذكور، وإنما بحجم التأثير الذي اتضح في برنامج "المسباح" الذي قام فيه بالتأليف والإخراج المشترك مع آخرين، وذلك في انتظار حلقاته الأسبوعية في ساعة محددة عبر يوتيوب.

ولأن أساس شريف المسرح – مسرح البيادر بالتحديد –، دعا الممثلين الشباب من زملائه الذين تقال في حقهم جمل الثناء على الأداء المتمكن والقدرة على تجسيد الشخصية بفعل التدريب المسرحي المعمق، واستقطب ممثلين وفنيين من أصحاب الخبرة والأعمال المميزة البحرينية، مثل: إبراهيم البنكي، ومحمد ياسين، وجمعان الرويعي، وعبدالله سويد، ويوسف بوهلول، وياسر سيف، وغيرهم من العناصر المميزة، وهو تقدير نحسبه من الطرفين: شريف وفريقه وهو يستفيد من الأسماء القديرة، وهذه الأسماء التي لا تلقى لها التقدير المناسب رغم عطائها المميز على مستوى الخليج، وتظلّ موهبتها حبيسة ظروف انحسار الدراما البحرينية، حتى في شهر رمضان، ليلحّ السؤال عمّا تغير منذ حقبة التسعينات المتميزة والمشهود لها بالدراما الشعبية التي تقترب من مزاج الناس، ولا زالت الموسيقى والحكايات تشغل الأذهان حتى الآن.

أما عن المحتوى، فهو متنوع، لا يمكن التكهن به إلا بعد المشاهدة، والغالب عليه الحس الكوميدي وبعض المضامين سهلة الاستيعاب، والحدث يسير على مسارين متوازيين: مسار معني بمشاهدة عائلية مسلية خفيفة، كسائر الحلقات ذات القضايا الاجتماعية، والمسار الآخـر الـذي يرمي بتفاصيله حتى يصطاد متلقيه بعناية ليشرعوا في تأويل ما ألقي في حجرهم! كما جاءت الحلقة المعنونة بـ(C7)، عن المختل عقلياً – كما يصفه الإعلام الرسمي في الإعلان الداخلي –، الذي يحتجز جمهور قاعة سينما بسلاح، ويتحكم عبر ريموت في إنهاء اندماجهم ومتعتهم – وربما غفلتهم – بإيقاف الفيلم وإضاءة القاعة، ليس هذا فقط، بل بأخذ الهواتف النقالة، والتسلية بهم عبر لعبة القيام والجلوس، وموج البحر، في رضوخ تام منهم، دون معرفة السبب، حتى أن أحد الجمهور (أحمد السادة) طالبه بلعبة أخرى من باب التغيير! وحتى حينما قام "المختل" بإسكاته، ردّ عليه الأول بأنه يسانده في الخطف، أو اللعب، أو أي شيء آخر!

لكن توجيه الاتهام للجمهور عبر جملة متكررة لتأكيد المعنى: «تطالعون الفيلم، وتاكلون، وتلعوزون، وتصورون، وتمشون/ الويكند اللي بعده نفس الحجي.. لمتى؟ لمتى بتطالعون ومحد فيكم قاعد يتكلم؟». والمسألة تتضح بعد ثلث الحلقة المكونة أصلاً من 27 دقيقة فقط، عبر تقنية الفلاش باك، وقبل ثلاث سنوات في طلب المختطف/ المختل من أحدهم النهوض عن مقعده (C7) الذي حجزه وزوجته، لكن محتلّ الكرسي يرفض القيام، ويطالبه بالبحث عن أي كرسي فارغ غير هذا الكرسي الذي وضع حاجاته عليه، والـذي يشعر أنـه مميز حقاً! لكن الرجل يرفض التغيير بتهذيب، ويطالبه مرة أخرى بالنهوض مـراراً عن كرسيه. وفي تصاعد الأمـر وتوتر المسألة، يقوم المحتل بصفع الرجل، في حركة غير متوقعة أحدثت نوعاً من الربكة عند الجمهور، والتي سرعان ما تراجعت للمراقبة، مع علو كاميرات الهواتف لتوثيق الحدث، دون التدخل لحل المسألة أو تحريك ساكن، خصوصاً مع الصفعات المتتالية الأخرى، حتى ولو من باب العودة لمشاهدة الفيلم السينمائي.

ينسحب الجميع تباعاً بنفس الصمت الخانع، ويظل هو يتلقى الضربات حتى مع عدم وجود المحتل المادي، وبقي يهذي وهو يتخيل وقع الصفعات المهينة والمذلة أمام

زوجته التي طلبت الطلاق، وهو يستجيب ولا يدافع عن نفسه، محاولاً مجابهة القوى الجسدية بحوار عقلاني صحيح، ولكنه ضعيف، وإمكانياته الجسدية وربما الأخلاقية لا تسمح له بردّ الضرب، لكنه يبقى أسير المذلة والمقاومة الكلامية الهزيلة. والموسيقى هنا وتريات حادة، ومتداخلة، تدل على التيه الذي يسكن هذا المنتهك المستباح، وهكذا يعرف المتلقي ماضي هذه الشخصية التي تتصرف على نحو غير معهود. وتجدر الإشارة إلى أن نفس هذه الموسيقى، المؤلفة بعناية، كانت معبرة وموظفة أيضاً في نهاية الحلقة.

والإشـــارات في هـذه الحلقة، بهذه المعطيات المذكورة، لا بد أنّ لها تأويلاً في أذهان من كتبوا هذه الحلقة، وهم بالإضافة إلى شريف: محمد السليطي/ أحمد السادة/ عبد الله الدرزي/ عادل جوهر، خصوصاً مع الجملة التي أقرنها شريف عبر حسابه وهو يضع رابط المشاهدة للحلقة: «إلى كل شخص مضطهد ومسلوب حقه ومغتصبة أرضه في هذا العالم.. أقدم لكم هذا العمل"، وهي جملة مسؤولة جداً، وواضحة أبعادها، حتى في بعض التعليقات التي صاحبت هذا المنشور، والتي حيّت فريق العمل لمساندة فلسطين.

من حق الفنان أن يعبر عن قضاياه وهموم مجتمعه، بالشكل الذي يراه مناسباً للتعبير وإيصال مضمون ما لجمهوره، لكن إذا كان هذا القالب الذي اختاره شريف ورفقائه، فهل وُفقوا في اختيار عناصره كما ينبغي لتحريك وعي ما؟

المتكأ الأول في العنوان غير العشوائي الـذي اختير للحلقة؛ فالعنوان في كل الاختيارات الفنية والأدبية يجب أن يكون معبراً عن خلاصة مضمونه. و(C7) غير مألوف سمعاً أو قراءة، وحتى حين البحث عنه تظهر نتيجتان بارزتان: الفقرة العنقية السابعة لدى الإنسان، أو مجموعة الدول السبع لمنتدى سياسي غير رسمي يضمّ كندا وفرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة وأمريكا والاتحاد الأوروبي، وكلا النتيجتين لا علاقة لهما على مستوى المعنى بمضمون الحلقة المذكورة. لكن يمكن أن يكون هذا امتداد غير مباشر ليوم 7 أكتوبر، وهذا التفسير الوحيد "المفهوم" لهذه التسمية. وعلى حين أن التفسير غير مطلوب من صنّاع العمل، لكن طالما أن العمل صار بين يدي الجمهور، فمن حقه أيضاً أن يؤول كل مشاهد ما يراه بحسب ما يراه!

وبناء على التصور السابق، ومعطيات

العمل كما ذُكرت في التفاصيل أعلاه، وكما أكّده بطله خارج السياق الدرامي في رسالته لجمهوره، والتي أكدت وجهته تماماً، فلا يمكن أن يسطَّح لتفسير آخر منخفض عن القضية الفلسطينية بعد جملته على منشور الحلقة. فهل استخدمت العناصر الفنية كما يجب؟ كانت الفكرة مختبئة درامياً، وهي حيلة جيدة لتحفيز الوعي، لكن إزاء ذلك، يتوجب على فريق الكتابة تفريغ الفكرة والاتفاق عليها بشكلها الواضح، ثم تحديد ما يظهر للمشاهدين وما يختبئ؛ بمعنى: ما الموقف الذي أراد الفريق تبنيه تجاه القضية؟ مع، أم ضد، أم محايد؟ لمَ ظهر البطل كمختل ومجرم خطير يؤذي الأبرياء ويتحكم بهم؟ لكن يُذكر أن تكريس فكرة الإلحـاح على الأضعف بالتنازل والقبول بالظلم مُصدَّرة بشكل جيد، وذلك في تكراره لجملة: "ليش تساهمون في صناعة الظالم؟"، رغم محاولة إلقاء التهمة بالكامل على الجمهور السلبي الذي يشاهد ويُصوّر دون تدخل، حتى أصبح شريكاً في الحادثة التي آلت بالبطل إلى هذا المصير، والخنوع الذي أظهروه حين طلب منهم صفع بعضهم البعض دون توقف، وهو يراقبهم بفرح سادي، يجعلك تتساءل: من يمثل هذا المختل حقاً؟ لماذا يتلذذ بعذاب الآخرين، ويستبيح مذلتهم؟ وهل تعرضه السابق لهذا الهوان، يبرر له فعلته؟

أيضاً كان اختيار دار عرض في السينما اختياراً مقصوداً وموفقاً؛ كونها مكاناً للفرجة فقط، دون إبداء أي مشاركة من قبل المشاهدين. فالاحتجاز يكون في الأماكن ذات الجدوى، بينما النتيجة محتومة في مكان لا يراد منه أو من الناس فيه إلا توجيه رسالة وإخبارهم بالقصة التي حصلت، وممارسة بعض العنف والذعر معهم. ولا توجد أي علامات على مستوى الشكل/ المكياج أو الملابس والألوان ما يستدعي الانتباه له، ولو على سبيل تمرير رسالة، ما عدا الفنان عقيل الماجد الذي أخذ دور المحتل ذي الشكل القبيح، وهو إن كان مقصوداً بالمعنى الكليشيه للشرير القبيح ذو الأنـف المعقوف الذي نعرفه، فهي فكرة بائدة ومفرطة الاستخدام، ويمكن للمعتدي أن يظهر في شكل وسيم وأنيق، ويمارس ما يريد تحت ظل القانون الذي يتلاعب به مرة، ويبرره مرات أخرى. أما المختل، فيرتدي ملابس عادية باللونين البرتقالي والزيتي، وربما هي إشارة للزيتون والبرتقال اللذين يرمزان في بعض التيارات للتمرد. لكن يظل هذا كله تحت مظلة التأويل المفتوح، طالما لا يوجد مستند واضح يمكن قراءته.

ورغم تسطيح الجمهور كـ(كومبارس) غير فاعل إلا في الفرجة، إلا من ذكروا سابقاً، وزوج مجبر على القدوم للسينما، وفردين فقط قـررا التمرد على المختطف وفشلا، وهذه مسألة ملفتة، لكنها مفهومة للتركيز على صاحب القضية الأساسي. لكن المفاجأة أنهم تضامنوا معه حين أتت القوى الأمنية لإرجاعه إلى مستشفى الطب النفسي. وحين طلب منهم الخروج بهتاف C7 وهو معهم، وافقوا بلا ضغط، وهو مشهد يذكر بالمشهد الأخـير في فيلم (الإرهـاب والكباب) حين تورط البطل بخطف مجموعة من الأشخاص في مجمع التحرير، وخرجوا جميعاً بنفس الطريقة التي شوهدت في رمضان شريف، مع الفارق أن المتلقي في الفيلم تعرَّف على الشخصيات وتاريخها وأبعادها ودوافعها التي دعت إلى هذا التضامن "المبرر"، بينما هنا لا منطق لهذا، وهم الذين كانوا تحت رحمة طلقة طائشة إن خالفوا الأوامـر، أو فكروا في التمرد والهروب!

وهذه الأسئلة المباحة والمعنية بالتفاصيل لا تنقص من هذا الجهد المحمود والمُقدَّر حقاً لشريف وفريق العمل الذي يشتغل بجد ودافعية فنية شبابية من أجل تقديم ما لا يتوفر على القناة الرسمية، بل من أجل كمال العمل الفني المميز أصلاً الذي يرفع أبناءه ويقوي رصيدهم عند جمهورهم باستعادة الثقة في المنتج الفني البحريني، وحتى نتبع تعليمات الحلقة في تجنب الجلوس على مقعد C7.

لمشاهدة الحلقة

https://www.youtube.com/watch?v=pje-aNk8JFY

«ميثاق النساء».. ثقب في جدار العزلة

تدفع التقاطعات الكثيرة بين الروائية حنين الصايغ وشخصية أمل بو نمر بطلة روايتها «ميثاق النساء» القارئ الفضولي إلى التفتيش عن أدلة تثبت أنهما شخص واحد وأن هذه الرواية ليست سوى سيرة ذاتية لصاحبتها، بل إن الروائية نفسها تضع طُعما لهذا القارئ «الحشري» من خلال نثر قمح الشكوك في طريقه، فالروائية وشخصيتها الرئيسة درزيتان درستا نفس تخصص اللغة الإنجليزية في الجامعة الأمريكية ببيروت، وسافرتا إلى ألمانيا وحتى ديوان بطلة الرواية عنوانه «فليكن» وهو نفس عنوان المجموعة الشعرية التي نشرتها حنين الصايغ.

د.بروين حبيب

ولكن بعيداً عن هذه الشهوة الخفية للتفتيش عن أسرار الكاتب من خلال عمله، تبقى قيمة النص الفنية هي المقياس بغض النظر عن جنسها الأدبي سواء أكانت رواية أو سيرة ذاتية، وقد توقعت حنين الصايغ ما يثيره هذا التطابق، فصرّحت في إحدى مقابلاتها قائلة: «فضاء الرواية يسمح للقارئ برؤية نفسه والتفاوض معها أثناء القراءة بدلا من التلصص على حياة الكاتب واستخدام النص كوثيقة لاستخراج معلومات عنهم، أقدّم العمل كسيرة ذاتية، ولكن كرواية».

ويضاعف هذا الفضول أن حنين الصايغ في روايتها الأولى –وهي القادمة إلى الكتابة الروائية من الشعر– تحكي عن طائفة محاطة بالأسرار سكنت الجبال محافظة على عزلتها ألف سنة، فالدعوة إلى تعاليم دينها أُغلقت منذ ذلك التاريخ، بحيث يرفض الدروز الراغبَ في الدخول فيهم كما ينبذون الخارج منهم.

كما أنها تروي حكايات نساء الدروز اللواتي بقين إلى ما قبل رواية «ميثاق النساء» البعيدُ لا يعرف عنهن شيئا والقريبُ لا يستطيع أن يقول عنهن شيئا.

لم يكن مفاجئا في نظري أن تنافس هذه الرواية الصادرة عن دار الآداب البيروتية لأجل الفوز بالجائزة العالمية للرواية العربية وقد دخلت قبل أيام قائمتها القصيرة.

فعلى امتداد حوالي 400 صفحة تمسك حنين الصايغ بخيوط سردها باحترافية محافظة على لعبة تشويق القارئ ودفعه لطرح الأسئلة ابتداء من العتبة النصية الأولى عنوان الرواية «ميثاق النساء» الذي نعرف من خارج النص أنه عنوان إحدى رسائل «كتاب الحكمة» وهي تعاليم الحكماء الدروز الأوائل لتابعيهم، لكن الروائية تعطيه بعدا آخر تكشفه لنا صراحة بعد أن نقرأ ثلاثة أرباع الرواية فتكتب: «هو ميثاق النساء الحقيقي.

ميثاقٌ من التضامن والفهم والوجع لم يخطه أحدٌ في كتاب ولم يفرضه أحدٌ على النساء. ميثاق يجعلنا نتواصل ونترابط على بُعد آخر. بُعد لا علاقة له بالدين والثقافة والجغرافيا. نحنُ متّصلات شيءٌ ما يتحرَّك في المرأة حين ترى امرأةً أخرى تعاني» في رغبة من الروائية أن تُعامل النساء جميع النساء بالقدسية نفسها التي ينظر بها الدروز ونساؤهن خصوصا إلى نصهم المقدس. وبعد العنوان يثير حيرتنا الإهداء الذي يظهر لنا أول وهلة أن لا علاقة له بالرواية «إلى ابنتي اعذريني لأنني لم أكن أبدا بكاملي معك، أنا أربّيك يا صغيرتي وأربّيني، سامحيني» ولكن هذه الرواية التي تُفتتح بهذا الإهداء من الأم/الروائية لابنتها وتُختتم برسالة من الأم/الشخصية الروائية والرّاوِية في النص، يوسوس لنا من جديد بهذا التطابق بين تفاصيل حياة المرأتين. ولا اعتقد أن الروائية تعنيها كثيرا هذه المقارنات، بل من المفترض ألا تعني القارئ أيضا.

وبعد عتبتَيْ النص والإهداء تأخذنا أمل بو نمر بطلة الرواية في رحلة طويلة معها ترويها بصيغة المتكلم، تبدأها بلحظة مفصلية في حياتها حين نزلت خلسة من قريتها لتتسجل للدراسة في الجامعة الأمريكية ببيروت وهي اللحظة الفارقة التي غيرت حياتها. ومنها تأخذ بيدنا كدليل سياحي لا يرينا الأماكن والمعالم السياحية، بل خبايا التفكير لمجتمع منغلق على نفسه حتى أن جيرانه اللبنانيين من طوائف أخرى يجهلون عنه الكثير.

ولا تسير بنا حنين الصايغ على لسان راويتها المتكلمة في خط سير كرونولوجي بل تنتقل زمنيا وحتى مكانيا مستعملة أحيانا طريقة الفلاش باك متوسّلةً عناوين فصول كثّفت فيها أحداث روايتها، فالفصل الأول «الجدار» الذي كان يصلح أن يكون عنوانا ثانيا للرواية، يعطينا مفتاحا بالغ الأهمية للولوج إلى هذا العالم المحفوف بالأسرار، يحكي حادثة تصلح نموذجا دالا على تعقيدات المجتمع الدرزي، فكان لحادثة طلاق مثلا أن تمر عادية تحدث في كل زمان ومكان، ولكن لأن جد بطلة الرواية شيخ درزي فالطلاق يصبح

مشكلة كبيرة «لو طلقتَها لن تستطيع أن تردها مرة أخرى، وسيصبح عليك محرّما أن ترى وجهها أو حتى طرف منديلها، وسيكون عليك محرّما أن ترى حذاءها مخلوعا أمام بابها، أو أن تسمع صوتها» كما تنص عليه التعاليم، وما ضاعف المأساة أنّ الشيخ فَصَل نفسه عن طليقته ببناء جدار في غرفتهما حال دون أن يريا بعضهما ثلاثين سنة كاملة إلى أن توفي الشيخ ولم تحضر طليقته مأتمه اتباعا للأصول. وترسم الرواية مشهدا تراجيديًّا لهذا الشيخ الذي كان يطرق على الحائط في الليل يناجي زوجته:"سامحيني يا أمّ علي يلعن الشيطان تسرّعت" فكانت تصمت لأنَّه ممنوع عليه سماع صوتها وتكتفي بالطرق على الحائط ثلاث مرّاتٍ كي يعرف أنَّها تسمعه.

هذا الجدار الرمز والذي كانت عمة البطلة تراه مرارا يتهاوى عليها في نوبات هذيان فتسنده بجسدها، هو ما سعت أمل بو نمر لتحطيم رمزيته، وقد فعلت ذلك مرارا عندما قايضت قبولها الزواج باستكمال تعليمها ففتحت فيه ثغرة ما لبثت أن توسعت، واستكملت تحطيمه حين تركت بيت الزوجية على الثالثة فجرا لتنزل إلى بيروت ثائرة على تاريخ امتد ثلاثة عشر عاما مع زوج ينتهك حرية جسدها متى شاء، ويستبيح جسمها الهش في عمليتيْ تلقيح اصطناعي تركتا آثارها الجسدية وجروحا في الروح لا تندمل. وأمل لا تُدين زوجها في الرواية، بل تدين مجتمعا يفرض شروطه المتعسفة على رجاله ونسائه بل على شيوخه أنفسهم الذين يُحرّم عليهم دينهم "الخروج إلى المطاعم أو المنتزهات العامة، وألا يظهروا بزيهم في الأماكن العامة إلا عند الضرورة".

فكان لا بد لهذه الظروف غير الطبيعية أن تشكل في نفسية أمل الهشة عدة عقد ليس أقلها التقليل من قيمتها ولوم نفسها وسقوطها في دوامة الاكتئاب الذي وصفته بقولها "الألم هذا الشعور الدائم الذي يتملكني وكأنّني في مأزق أو في كابوس لا ينتهي وكأنَّ حياتي فَخّ أستيقظ منه كلَّ صباح حتى أسقط فيه مجدّدًا". ولم يخلّصها منه سوى شيئان: ما فتحه لها تعلمها من آفاق في استكمال الدراسة في بيئة منفتحة مثل الجامعة الأمريكية في بيروت ومن ثَمَّ فرصة العمل في رحابها، والحبُّ الذي سرقها من واقعها مع توأم روحها وعقلها وإن كان من غير دينها وبلدها. هذا الحب الذي كتبت عنه حنين الصايغ أو أمل بو نمر لا فرق بفلسفة ترتقي إلى مقامات العشق الصوفي حين تقول مثلا "من الصعب أن نسأل العاشق عمَّا يحبّ في معشوقه. وإن أجاب هذا العاشق بصفةٍ أو ميزةٍ في حبيبه فلا يكون يحبّ هذا الحبيب، بل فقط يحبّ تلك الميزة فيه" وهذه اللغة الشاعرية في الحديث عن الحب نجد لها مثيلات في الرواية، فقد تسربت مقاطع كثيرة هي أقرب إلى الشعر لم تستطع حنين الصايغ أو لم تُرِدْ منعها من التجلي على صفحات روايتها كحديثها عن السفر "المطارات لا تعبأ بدموع المودعين ولا بزهور المستقبلين. كان السفر بالنسبة إليّ موتًا صغيرًا أو نفقا بين قبرين كان الطيران مجرَّد هدنة قصيرةٍ مع هذه الأرض التي تتكئ علىَ وجوديٍ بكل ما أوتيت من قسوة.. قبلك كانت كلّ الغايات متاهاتٍ أختبئ فيها من اللاغاية».

يبقى أمران يجدر ذكرهما أولهما: أن الرواية ليست إدانة للمجتمع الدرزي بقدر ما هي إعادة رسم صورة واقعية له تبعده عن الأسطرة وتخرجه من دائرة التكهنات، فتعرض مشاكله التي نجد مثيلا لها في كل مجتمع منغلق على نفسه للحفاظ على خصوصيته، وقبل ذلك للحفاظ على وجوده. وثانيهما أن الرواية أبعد ما تكون عن النسوية ببعدها الإيديولوجي، فليس فيها محاكمة للرجال وإدانة للبطركية والسلطة الذكورية فالرجال والنساء على السواء ضحية تشدّد فرضته ظروف تاريخية، بل نجد في الرواية نماذج ذكورية جيدة مثل الأستاذ خلدون قتيل الحب الذي يدعم تلميذته، أو «جاد»صهر أمل الذي أحب زوجته إلى درجة موافقته على إجهاضها وطلبها الطلاق، أو حامد الكاتب الذي كان طوق نجاة لأمل عوّضها عن حياة القهر.

«ميثاق النساء» رواية تحتفي بالحب والأمومة والحرية، استعملتْ فيها حنين الصائغ مبضع الجراح لتشريح انعكاس الانغلاق على النفوس الهشة وحيث المرأة كما هي دائما الضحية الأولى له، ولكنها أبقت باب الأمل مفتوحا يظهر فيما قدمته أمل بو نمر من نصيحة غالية لابنتها رحمة: «سأهبك هذا الخيط، وسأذكرك دائمًا أنَّ في الجانب الآخر منه في الجانب البعيد، سيكون قلبكِ، وأنَّ في قلبكِ ستجدين الله والحبّ والحقيقة».

وقفة

مجد يعقوب

يوم الأرض الفلسطيني

آذار يأتي إلى الأرض
من باطن الأرض يأتي

محمود درويش

يوم الأرض الفلسطيني الحدث المحوري في الصراع على الأرض، الأرض التي تمسّك بها أصحابها إلى آخر رمق، ولم تفلح كل وسائل وأساليب العصابات الصهيونية في ثنيهم عن التوقف للمطالبة بالعودة الكاملة إليها.

حدث في 30 من شهر آذار عام 1976، أن قامت عصابات الاحتلال بمصادرة آلاف الدونمات من الأراضي الزراعية والتي تعود ملكيتها إلى مزارعين فلسطينيين، مما دعا الفلاحين وكافة فئات الشعب للقيام بإضراب عام شمل كل مناطق الأراضي الفلسطينية المحتلة في 1967، وجرت مواجهات عنيفة مع الاحتلال، فاصبح هذا اليوم علامة على التمسك بالأرض.

في ذلك الوقت كان لرد الفعل الفلسطيني وقع حاسم على الأرض. عندما كان الفلسطيني يحمل بندقيته في يد وفي الأخرى معولاً، كان الإضراب او المواجهة او المظاهرة ، بل كان الحجر يغير موازين القوى في العالم.

أما الآن !!، لم يعد يكتفي الاحتلال بممارساته القديمة، من مصادرة الأراضي، إخلاء البيوت القديمة من أصحابها وتسليمها لقادمين غرب من شتات بقاع الأرض. وليست آخر وحشية العدو ما جرى في غزة، فهو مستمر في الاستبداد وأهلنا في الداخل مستمرون بالصمود، وليس لهم غيره لأن الصوت الفلسطيني لم يعد يُسمع بعد أن خنقته وكبلته سلاسل أوسلو اللعينة، التي أضّرت بالقضية الفلسطينية أكبر الضرر، وأصبحت سياسات السلطة الفلسطينية القائمة مثار غضب الفلسطينيين، فيما يتمادى العدو في جرائمه لا في غزّة وحدها، وإنما في الضفة الغربية أيضاً، ليس بعيداً عن مقر هذه السلطة.

رغم كل التحديات والتضحيات، فإن احياء يوم الأرض الفلسطيني تعبير عن اصرار شعبنا وعزيمته في مواصلة كفاحه، حتى تبقى الأرض فلسطينية، ويكون الفلسطيني سيّدها، وهي المهمة التي يتوارثها الفلسطينيون جيلاً وراء جيل، ألم يقل محمود درويش:

في شهر آذار تستيقظ الخيل
سيدتي الأرض!!!!

قراءة في «كردم»

عـــويشـــــة التـــي تحـــدّت الســـائد وأيقظـت حسّ التعبيـــر عـن الـرأي فـي المحرق

نور حميد

المجموعة القصصية الملهمة «كردم»، لمؤلفها محمد فاضل العبيدلي تجعلنا نفكر في حياة الناس البسطاء الذين يملكون عمقًا في شخصياتهم دون أن يدركوا ذلك بأنفسهم، ولهم اثر كبير في نفوس من يصاحبهم أو يسمع عنهم .. تركت هذه القصص اثرًا نقله لنا الكاتب من مذكراته وذكرياته وسيرة المكان ووصفه حياة الناس وتعايشهم، حيث علق على كتابه بهذه السطور: «لم أختر النص ولا أبطال النصوص بل هم الذين اختاروا اللحظة التي نكتبهم فيها. استحوذ ابطال هذه النصوص علي سنوات طوال وهأنذا أكتبهم من ذاكرة الصغير واليافع من مسرح تلك المدينة الرائعة النائمة في أحضان البحر.. المحرق». المحرق، المدينة التي يعيش فيها نسيج يتمثل بالحب والتعايش والألفة بين أهلها، فبيوتهم المفتوحة على بعضها، وصحونهم تخرج من بيت الى بيت تهنئ وتبارك، تشارك الأحزان قبل الأفراح.

بدأت المجموعة القصصية ب «بواربعه» حسن بن محمد النجار ولطيفة بنت سعد، بو أربعه الذي صرعه حسن بقبضته وشجاره الدامي مع بن خميس الذي باغته بعد سنين طوال في حلم توقف عنده ولم يكن عابرًا، حلمٌ فتح صفحات قديمة وذكريات .. بن خميس الذي رحل مع اهله بعيدًا .. رحلوا و لم يتركوا سوى الصمت في الحي، فوصل خبر وفاته، وكأن روحه زارت المكان وحلم النائم ليثير في قلب حسن الشجن والاشتياق..

في أغاني رقصة الليوة الشعبية يقولون: «وش هالونين يا عويشة في ذي الغرفة يمه عشقني المولع وشق ثوبه». حكاية عويشة بنت علي مع النوخذة بن عمير وماذا قالت شمسة ومقولة: «الله يرحمج يا عويشة متي يومن عرفتي».

اشتهرت عايشة بنت علي بن حمد بن عبيد وأمها منيرة بنت عبداللطيف بن راشد الونان، بجمالها وسحرها وسط حياة مليئة بالتعب والكفاح والصبر، فهي مثال للمرأة البحرينية القوية والرافضة للظلم ومثال يحتذى به للنساء اللاتي يكافحن بإصرار من اجل الحب والعائلة، ولعل قصة عويشة اثرت في نفسي انا شخصيًا لكونها تلامسني في جانب من شخصيتي في الواقع وفيها من رفض الأعراف التي تظلم الإنسان وبالأخص المرأة، والجرأة التي تحلت بها فكانت هذه من الشخصيات المؤثرة والتي تبقى في الذاكرة من هذه المجموعة القصصية، كونها المتفردة بين نساء الحي. تزوجت من تحبه وهو راشد بن محمد الحصبان في زمن يعتبر هذا الامر (منكراً)، ولم تكن عويشة تهاب التحدث امام الجميع رجالًا ونساء، ووصل الحال درجة كان الشرار يتطاير من أعين رجال الحي حين تقف لتجابههم، وهذا ما جعلها مميزة عن غيرها، بمساندة أبيها فهو الذي علمها الشجاعة والقوة ودعمها لتكون عويشة التي نتحدث عنها اليوم.

في موسم الغوص تعرض سالم زوج عويشة لهجوم قروش البحر وهو يعمل عند النوخذة بن عمير، مات سالم وصرخت عويشة: «هذا اللي بقى من بوعيالي، هذا اللي بقى من حبيبي من الاولي والتالي». جَرت عويشة لتأخذ ابنها وتخبئه لكي لا يأخذه النوخذة بن عمير بديلًا لوالده، فكان العرف أن يأخذ

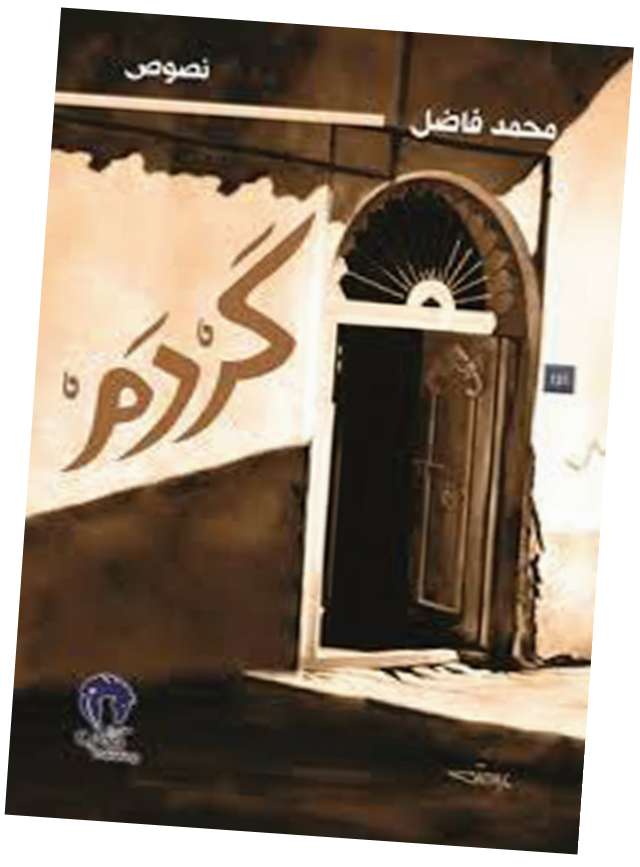

النواخذه أبناء الغواصين حين يتوفون بدلاء عنهم، أيًا كانت أعامرهم سواء رضت والدته أم أبَت. لم تقبل عايشة بذلك، وقالت لرجال بن عمير الذين جاءوا لأخذ الوالد عنوة: «ماتاخذون ولدي الا على جثتي»، ما فعلته عويشة لم يكن منكراً فقط في عرف النواخذه بل كان، بالنسبة إليهم، كفرًا.

اتجهت عويشة لمجلس بن عمير غاضبة ووقفت أمامه وأمام الجميع قائلة: «اترك لي ولدي، مالك حق في ولدي يا بن عمير، لا شرع(ن) قضى ولا نبي(ن) قال». انعقدت ألسنة الجميع وهزت بن عمير نفسه.. ما حدث لم يحدث في المحرق قط، مافعلته عويشة يشكل خطرًا عليهم وهو كسر للأعراف والقوانين التي وضعوها بأنفسهم وكفراً تستحق عليه العقاب، بينما هي أم تخاف على ابنها من تعب الغوص واستعباد النواخذة للفقراء.

أصبحت عويشة مصدر فخر للنساء في المحرق، لأنها أيقظت فيهن حِسّ التعبير عن الرأي والمشاعر، حتى زوجة بن عمير نفسه أُعجبت بعويشة لكونها أماً تشعر بما تشعر به، لكنها في الوقت ذاته شعرت بأنها تشكل خطرًا على زوجها ومكانته وخطرًا عظيمًا على منظومة كاملة من الأعراف والتقاليد التي فرضها زوجها وغيره على المجتمع، لذلك اقترحت أن تأتي عويشة للعمل في بيت النوخذة بدلًا من عمل ابنها غواصًا، فوافقت عويشة ودخلت البيت تخدمهم وتعمل في الخياطة وتجهيز الأفراح لهم. كانوا معجبين بها جدًا لكنهم لم ينسوا ليلة المواجهة تلك.

آلفت عويشة امرأة عجوز من بلاد الحبشة، هي إحدى عبيد بن عمير اسمها شمسة التي اختطفها تجار الرقيق واشتراها النوخذة. هناك سببان خاف منهما النوحذة في علاقة عويشة وشمسة الوطيدة، الأول ان شمسة تعرف كل أسرار العائلة، والثاني اعتقاده بأن سبباً خفي جعل عويشة ترضى بالعمل في بيته فكانت صفقة في ظاهرها حب وباطنها اخضاع.

مرّت السنين. مرضت شمسة واقتربت نهاية حياتها وكانت عويشة تلازمها، وفي احدى الليالي المتعبة والثقيلة، تحدثت شمسه الى عويشه عن ما كانت تخفيه في صدرها منذ سبعين عاماً من حكايات وحقائق حتى أغمضت عينيها وفارقت الحياة، وبعد ثلاثة أيام على عزاء شمسة وُجِدَت عويشة ملقاة على وجهها على درج المسجد، وتلتف عباءتها على قدميها مخنوقة مقتولة مغدور بها منتقم منها.

عبدالله ذو العينين الواسعتين الجميلتين

عن بسالة نساء المحرق في وجه الجنود الانجليز الذين استدلوا على مكان اختباءه من خيط الدم على الأرض، إذ كان ملاحقاً منهم حتى وصل إلى هؤلاء النسوة الشجاعات اللاتي رفضن تسليمه اليهم، وبعد الشدّ والجذب دفعوا النساء بعيدًا واخذوا عبدالله وعينه الواسعة تحدق حاملة رسائل ليفسرها كل منا بطريقته.

كردم وبومكتوم

«يقعد على الدجه، دجة المثقفين والأميين، دجة المزيج الثقافي وترابط المشاعر والقلوب النقية». محمد أو بوحسن أو كردم، ملم بالشعر والتاريخ. كان حالة متفردة مشهورًا بالسكر، سكيرًا بفعل الحب وقد يكون محبًا للشرب فقط، عَشَق العراقية وبحث عنها ولم يجدها، سرد الكاتب مجموعة مواقف مسرحية تراجيدية كوميدية بينه وبين كردم وبومكتوم ورفاقهم، أحد هذه المواقف كانت في شهر محرم، وكان المتحدث على منصة الدكة النجار المصري حميدة، وحديثه عن حرب أكتوبر وكيف تمكّن المصريون من تدمير كتائب من الدبابات الإسرائيلية بسلاح يحمل على الكتب وصاروخ صغير اسمه (ساغر) المربوط بسلك طوله ثلاثة كيلومترات، واثناء هذه القصة تناهت أصوات حناجر تحيي على العزاء «بوي يا زينب.. اه يا زينب»، في هذه اللحظة تداخل صوت كردم قادمًا من زقاق صغير يجر كلبًا بحبل طويل يلفه عدة لفات حول يده والمسافة بينهما مترًا واحدًا مما جعل الكلب يترنح سكرانًا مع بوحسن، حينها علق أحد الشبان للنجار حميدة بأن طول حبل كردم هو طول السلك المربوط بصاروخ ساغر.. فقال حميدة: «هو كده بالضبط»، وهنا نستذكر مشهد السكير الذي جسده الفنان أحمد مبارك في المسلسل البحريني «سعدون» وهو يرمي بكلماته هنا وهناك نابعة من إنسان واعٍ لما يحيطه من ظروف سياسية واجتماعية وكان الخمر ملجأً للهرب.

كما يستذكر الكاتب موقفاً مسرحياً يليه من مواقف الدكة لـ "أبو مكتوم» الذي كان يعشق نورة وهي إحدى جميلات الحي، ولكنه كان العشق المستحيل بالنسبة له ولها ولجميع أهل المحرق، فكيف لـ "ولد العبدة» أن يرتبط بـ» بنت الحمايل»؟. كان أبومكتوم متولعًا بها بصمت ولكن لا يجرؤ النظر في عينيها، كان الخمر هو الطريق الى العالم الذي يهرب إليه ويعيشه معها محاولًا بشتى الطرق تناسي الواقع.

وفي مشهد لنساء أعجميات من المحرق يحملن أوراقًا في أيديهن ويرددن: "إسلام لازم ينتصر»، إزاء الثورة الإيرانية وتأثيرها على المنطقة، فكان أبومكتوم غارقًا في همه وحبيبته «الممنوعة منه» نورة، مر احد الشبان وقال له: «بومكتوم يبيله بوحنش (تسمية شعبية لمشروب الجن)، فلم يرد، وأثناء ذلك وقف ابومكتوم منقلبًا على مشاعره يقلد النساء (إسلام لازم ينتسر) مما فجّر ذلك الدكة ضحكًا من انقلاب العاشق إلى مهرج..

في احدى الليالي كان ابومكتوم ذاهبًا إلى مطعمه المفضل (مطعم النجاح) بعد سهرته مع رفاقه قرب البحر، لكنه تعثّر بفعل السكر وانعطف الى وجهة أخرى، فبدلًا من دخول المطعم دخل الى مركز الشرطة، وأصدر أمراً للشرطي: «رفيق.. دايه مشوية وكثّر خبز الليلة»، فعرف الشرطي بأنه «مزيد الجيلة» فأرشده إلى الجهة الأخرى ليتوجه للمطعم، لكن أبومكتوم ألحّ على الشرطي: «أقولك زيّد الخبز رفيق"، هنا رفع الشرطي صوته فأدرك أبومكتوم انه في ورطة فاعتدل في وقفته وأدى التحية وقال: «مشكور يا ولد الوطن .. سامحني يا ولد الوطن".

اعتزل كردم ومات على سجادة الصلاة، وتبقى ذكرى مواقفه ولسانه الثقيل على مسامع الجيران وفي ذاكرة أحباءه، وبعد العزاء تجمعوا على الدكه بحزن يتسائلون: «هو من بيت من ؟ شنو اسمه الكامل؟». الألفة والمحبة والصداقة أنستهم الأصول والعوائل، جمعتهم القصص وارواحهم الطيبة والمواقف. كان مقطوعًا من الأهل ولكنه لم يكن مقطوعًا من أحباء الدكه ولا من ذاكرتهم.. كل منهم في عالم لوحده، وتتداخل هذه العوالم ببعضها في هذا التجمع الصغير ليتخلصوا من مشاعر الحزن ويضحكوا على المأساة الكامنة بداخل كل منهم وتتحول مشاعرهم الجياشة إلى ضحكة مخدرة اثناء هذه اللحظة.

قام الكاتب محمد فاضل بجولة في المحرق مع قرّاء الكتاب، والتقوا بجارة كردم التي سردت موقفًا له: "كان الجدار الفاصل بيننا وبين منزل كردم منخفضًا، فما أن نقف حتى نراه وما أن يقف حتى يرانا، وفي الليالي التي يزوره أصدقاؤه للسهر فكان يمنعهم من النظرإلى جانب منزلنا ويقول: "هذول بنات اختي لا تقربون منهم ولا تطالعونهم".

موعدٌ واحدٌ وموتٌ مؤجل .. وبينهما طفلتان

من كان مع من؟ من ذهب؟ والى اين؟ ماذا كان يفعل؟ ماذا حصل في ليلة الانفجار؟. الكل يجري مندهشًا، قلق ورعب وتساؤلات، وصلوا الى البيت الصغير في الزقاق الضيق ملاصقًا لبيت البوبشيت، وصلوا إلى الحريق الكبير وأول سؤال يُطرح: «أمي سلامة؟.. وثاني سؤال: محمد؟

وهو الإسم الذي تردد كثيرًا، «محمد»، أين أبناء جمعة؟ وأين عائشة؟. الحمدالله بعد ارتجاج البيت ودوي الانفجار بان الجميع. لكن أين محمد؟ محمد بونفّور قُتِل في الانفجار، محمد اللاعب صاحب القميص البرتقالي يلعب في نادي الجزيرة، يرتدي بنطالًا كاكيًا للعمل، يحمل صحيفة أحيانًا.. للقصة تكملة، حدثٌ في تلك الليلة وحدث في ليلة بعد ستة وعشرين عاماً، وبين الليلتين ألغاز وأحداث؟. ماذا حدث في تواريخ الموت والولادة والأسماء المكررة؟. هذا السر يمكن أن تكشفه لنا مقابر المحرق

طفل فاطمة

«يلا يا احمد بن فاطمة قوم قبل للصلاة قبل لا تناديك فاطمة بنت محمد فاضل».. هيا لتسير بخطواتك إلى نخل خلفان ولا تنسَ الوصايا لتصبح رجلًا.. تذكّر يا احمد في طريقك عويشان جدتك عايشة بنت فاضل، اقطع المسافات مرورًا ببرك الماء الصافي، حاملًا قربتك المزينة بتطريز فاطمة. يعود أحمد محملًا بالهدايا وطلبات فاطمة.. وفي عمر الرابعة عشر، يدفن فاطمة، ثم التحق بأسطول البريطانيين، وطاف بالموانئ وحمل الكثير من القصص والغرائب، يشتري من هنا ويبيع هناك. ترك أحمد الشرطة وانخرط في الشركة كحال الكثيرين، وعايش الانجليز وتعلّم لغتهم..كان يسير إلى النخل فصار ينتظر حافلة «بابكو» في سوق المحرق ليغادر إلى عمله، تغيّرت حياته ولكن لم تتغير عادته في جلب الهدايا الصغيرة..أورثه والده يوسف اليتم، وكأنّه القدر واللعنة، فرحل يوسف الابن وأتعب أحمد فوق التعب والفقد مرات عدة، موجع رحيل يوسف، تشبث بعينيه الباقيتين وهما محمد ومحمود من بعد يوسف.. مات احمد بعد صراعه مع الحزن والفقد واليتم والمرض والوجع، رحل ابن فاطمة الوحيد، طفل فاطمة ونخل فاضل وحفيد محمد بن فاضل العبيدلي، عله التقى بفاطمة واليوسفين

حكايات عن "نخل خلفان، نخل جمال، نخل فاضل، هميران، بوطيور، العلوة، الرميلة، علفدان، العرمكي»، والهجرات والذين غابوا وتفرقوا في ارض الله الواسعة، والكثير في جعبة الكاتب.

مطوعة فاطمة

سر الابتسامة في تلك الليلة: «الحب يسري من أقاصي القلب و انت ترقبين صغارك فرحين، الآن عرفت لماذا هي دافئة يدك كلما لمستها». مطوعة فاطمة تجلي العروس، تنشد للأعياد، «يا مولد في المحرق أو جلوة في سماهيج». بابها مفتوح للزوّار وقلبها مشرع وصغارها حولها، ينهض قلبها بالبيت كعمود الرحى.. في المساء، تُخرج مخطوطاتها وكتبها العتيقة وتقرأ على الصغار والنسوة، ترتدي أفضل ثيابها وزينتها «عندنا مولد اليوم» فتنشد في حب المصطفى وتعيد القصائد بصوتها العذب، وحين يخترق صوتها الجدران رددت جاراتها: فاطمة تنشد، فاطمة تقرا، فاطمة تردد الأدعية

في الساعات المتأخرة من المساء تباغتها أسئلة وتعليقات الأطفال: «هذي نجوم محمد وهذي نجوم يوسف.. يوسف جوف هالنجمة.. أي قد النجوم بعيدة عنا؟

فاطمة: «اووش لا تعدون النجوم.. لا يطلع لكم ثالول.. سمعوا هالقصة»

فتروي لهم قصة المرأة وسوار الذهب، حيث كانت بالقرب من شاطئ البحر ولمحت بريقًا تحت الماء فسارت نحوه وكان سوارًا من الذهب بالقرب من كهف صغير للأسماك، مدّت يدها لتلتقطه لكن الماء حرّكه لداخل الكهف، فمدت يدها مرة ثانية وثالثة ورابعة والسوار يغوص اكثر، وبعد المحاولات «وماية الهلال ترتفع وظلمت السما لا قدرت تأخذ السوار ولا قدرت تطلع روحها، وغرقت». فكان الدرس عن الطمع..

هكذا تأتي القصص، جيلًا بعد جيل يتوارثها، وكلّ إنسان يسردها بطريقته ويستذكر المشاعر والناس واللحظات التي عاشها حين سماعه للقصة أول مرة، وقد تتكرر على مسامعه وفي كل مرة تعود المشاعر ويختلف الزمان والمكان والناس..

حيث نخلة هيفاء

تطاول السماء غرورًا

يمكنكم إغلاق أعينكم لتخيّل هذا المشهد في وصف المكان. الباب الكبير المنقوش، المعبر الصغير المفتوح للسماء والريح، الحجارة المكوّمة، ضحكات تُسمع من بعيد، صنبور ماء وبركة صغيرة تشهد وجود بئر صغير كان هنا في فترة ما، بالقرب منه هناك نخلة هيفاء الباسقة تتوسط الحوش، وهنا مصدر الضحكات، العائلة تفترش الأرض يشربون القهوة والشاي، الأطفال يلعبون بلا كلل ولا ملل، النساء كل منهم جاءت من زاوية ومن طريق لحضور هذا التجمع الصغير، الدفء والفرح يملآن المكان، الصراخ والضحك يزينان المكان، الريح تلعب بشعور الفتيات، وتتراقص سعفات نخلة هيفاء بألحان الرياح، هناك الغائب بجسده وروحه تحلق بالمكان، هناك الأمان بين هذه التفاصيل، هناك ولد سامية وولد فاطمة وولد شريفة، وهناك امهاتنا وخالاتنا وجداتنا جميعًا.

هذا المشهد عاشه بعضنا وسمع عنه البعض الآخر، الجيران، الحياة والقلوب، كلها تتنفس محبة وتماسكاً، هناك الحنين لتلك الأيام، وحنين للشخصيات وحنين للحظات، الوفاء والذكرى هي التي تبقى معنا، مشهد الحوش كان مكرراً في كل بيت في المحرق والبحرين، كانت النخلة تجمع العائلة، تجمع الفرح والحزن معًا..

قلبي ومفتاحه..

لربما نشعر بأننا نبدو أكثر جمالاً في حضرة من نحبّ.. تبدو لنا أعيننا تلمع من فرط الشعور بالدفء وابتساماتنا صافية –تحمل أقل ما يمكن من شوائب الحزن–.. أخال أن هذا الإحساس يتأتى من الالتزام والمسؤولية –على نحوٍ لا تكاد تفرق كونه فرضاً أو خياراً–. الحبّ ببساطة قد يلمس كل قلب نعرفه، حتى القلوب التي نظنها باردة قد يحرقها الحنين.. مساورةً الحبّ قد تتوهج في ذاتك بشعور صغير يزرعه قلبك من ثوانٍ لدهشة عابرة أو انبهار خاطف.. لكن التزامك بالواجب تجاه من تحب.. خوفك عليه.. شعورك بأنك يجب أن تكون جزءً من سلامه وضحكاته وفرحه.. شوقك له.. بلسمك الذي يداريه.. كل هذا يبلوّر مفهوم الجمال الذي يأخذنا إليه الحبّ.. الجمال المنبعث من حيوية الروح.

بتول حميد

قد يكون الحبّ تماساً روحياً مشتركاً مع ذات أخرى؛ يهب المحبّ توليفة وارفة من الأمان المفتقد في الحياة السريعة.. تهدهد توتره برفق كأنما هو الشعور الوحيد الثابت والمطلق.. على نحو أشبه بنص الشاعر قاسم حداد »قل هو الحبّ ولا تصغي لغير القلب«.

هواجس طرقت خلدي وأنا أتابع حكاية واقعية أدار أماكنها وشخوصها المخرج المصري تامر محسن تحت عنوان رقيق يحمل أغنية الراحل فريد الأطرش «قلبي ومفتاحه»، نبؤة القلب تهمس في قدر البطل لتتبدد عاديته ويتحوّل إلى قلب نابض في خطوط مربكة تجاه نصفه الآخر. فيما تنبعث أغنية العندليب عبد الحليم حافظ «كنت فين وأنا فين» لتبسط مشاعره بعد أن عثر على الحبّ الذي انتظره طويلاً.

هل يمكن أن نفقد بفعل الحبّ قدرتنا على التحكم في قصتنا التي اخترناها لأنفسنا منذ سنين طويلة؟ إذ أن معظم أبطال المسلسل في منتصف العمر وخريفه، عبروا تهور المراهقة وحدّة العواطف، لكنهم ربما لم يجدوا الحبّ بعد، لذا كثفوا أمانيهم بإيجاده إما على رف حكاية بعيدة لم تنتهي، أو على أسوار حكاية جديدة تمحو آلام الماضي، يجسد هذا الحنين الشفيف والشوق الوجِل قوت الألم اليتيم لكل الأبطال لاحتمال وحدَتهم في اللحظة الآنية.

يستدعي تامر محسن وشريكته في كتابة المسلسل مها الوزير شخصية «المُحلل» التي يمكننا كمشاهدين أن نُكمل سطورها تحت صدى الأفلام القديمة. إذ يخرج أبطال بحثًا عن لقاء لا يدوم أكثر من ليلة واحدة، ليجدوا ضالتهم وملاذهم الآمن.

تتجه خطوات امرأة تبحث عن رفقة ليلة واحدة تعيد لها توازن حياتها، إلى نفحات شاعرية تلم شتات شخوص الحكاية وتحفزهم للحبّ وفك حظر الشوق.

يجسر مسنٌ أسمر على طلب لقاء حبيبته التي تنتمي لحكاية الصبا، التي عاشها بمفرده وخفق فيها بقلب يكفي لشخصين، حتى تهبه حيلة مندفعة بدَلًا من المواجهة الناضجة، لأن قصته مازالت تنتمي في قواعدها إلى عهده اليانع. ومازال الصبي بداخله يرتعب من بلدوزر الرفض.

قد تضجّ الحكايا باللامنطق، فتاة مستقلة تُحب الرقص تتعلق بشاب لا يشبهها فب شيء ولا يمتلك أفقها للعالم، لكنها أسيرة قصتها القديمة معه ولا تمتلك شجاعة التحرر منه. وتصحو ستينية على عاشق يُرسل لها رسائل غرامية، لتدرك أن حبّاً أسطورياً كان ينتظرها منذ عقود. لكنه سرعان ما يغدو حكاية ملفقة ببطل كاذب وأمل منغش.

وصف الناقد محمود عبد الشكور سيناريو المسلسل بأنه «أفضل سيناريو لعمل رمضاني»، مضيفاً بأنه ليس فقط ألعاب السرد بين عدد محدود من الشخصيات، ولكن البدء أيضاً من قصة –البحث عن محلل– والانتقال بسلاسة ونعومة لما هو أعمق بإعادة تأمل وتفكيك لعلاقات الحب في مجتمع ذكوري الآن وليس بالأمس، لنكتشف أن حكايتنا لم تخرج عن عالم «السفيرة عزيزة» ولكن بتنويعات مختلفة، فحكاية المحلل هي المدخل فقط، وهي ذروة الخلل في علاقة الحب. ما يراه عبد الشكور «إعادة قراءة معاصرة ذكية وعميقة لثنائية الرجل الشرس صاحب القطيع، و–السفيرة عزيزة– وهو ما يحكم مجتمعاتنا العربية حتى اليوم».

برع تامر محسن في عنونة كل حلقة بإسم فيلم يحمل طابعها ولونها، أبطال حالمين في واقع قاسي. فهناك «السفيرة عزيزة»، «المتوحشة»، «إشاعة حب»، «خطيب ماما»، «موعد على العشاء» و»الحبّ فوق هضبة الهرم». كما تجسد الموسيقى التصويرية التي وضعها ساري هاني، روح المسلسل التي دللت اللحظات الرومانسية وزادت من حدة التوتر الدرامي، لا سيما مع الاختيار الدقيق للأغاني التي رافقت المشاهد، ما جعل التجربة السمعية والبصرية في تزاوج منسجم.

يضمن محسن السذاجة الكامنة في تشكيلنا الجواني، أو يمس ذاك الحنين فينا لإيجاد حبّ دافيء يموسق قلوبنا من النظرة الأولى. فتجد الأبطال يخلعون العادية ويحلقون ولكنه تحليق أقرب لرشاقة الخيال من ترهل للواقع!.

في كتاب «السرَّايات» لـ عيسى هجرس:

الـوطـــن معـــزوفـــةٌ خـــالِـــدةٌ يتـــرددُ صـــداها بيـــنَ جُـــدران القلـــب

«الوطن» أهمُّ فردٍ من أفراد أُسرة الإنسانِ أينما كان، بل أوَّل أفراد تلك الأسرة وأهم أسباب تبرعُمها ونجاح اتّحاد شملها، دونه تتداعى كل أحلام الاستقرار ومشاعر الأمان مُستسلمة للخوف والتذبذُب والتشرذُم وانعدام الأمل بالمُستقبل، وبفُقدانه تبدأ رحلة تيه مُفجعة للتشبُّث بأي ملاذ قد يكون قادرًا على ترقيع فتوق الحرمان من الانتماء ولملمة مِزق الذّات المُبعثرة بحثًا عن مظلَّة احتواءٍ لا يتّسمُ بالغَدر، لذا كان الوطنُ ومازالَ قيمةً عاليةً ونعمةً غالية يُلهم عشقها الأدباء ويوحي غرامها للمُفكرين النُّجباء، ولعلَّ من أفصحِ أمثلة الخواطر الأدبيَّة التي عبَّرت عن العلاقة المُتبادلة بين الإنسان والوطن ما تضمَّنهُ كتاب "السرَّايات" للمؤلِّف/ عيسى هجرس.

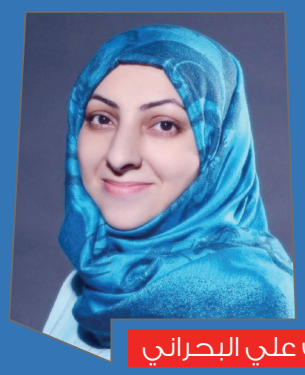

زينب علي البحراني

لم يستحوذ الوطن على كُل مضمون الكتاب، بل كان بصُحبة تأملات تناولت معانٍ انسانيَّة كُبرى كالعدل، المحبة، التسامُح، الجهل والمعرفة، التاريخ، الحضارة، الحرية، الشرف، الحظ، الحُب، المرأة، الثقافة والإبداع.. لكن شؤون الوطنِ احتلَّت مساحات تفوَّقت على المساحات التي احتلتها مضامين أُخرىً ونالت نصيبًا أكبر من عدد سرَّاياته التي تجاوزَت 23 سرَّاية من أصل 1060، والـ "سرَّاية" كما يُعرّفها مُبدع الكتاب: "هي مزاج الرّيح عندما تفقدُ صوابها في شهوة الجنون للعصف والاقتلاع»؛ ولأنَّ «لموجات الفكر سرَّاياتُها التي تهبُّ في مُناخات الأحاسيس والعواطف فتجرُّ قوافل التأمُّل في مساحات البلاغة وأفق الخيال...صـ5»؛ فقد كان للوطنِ سُلطانًا انعكسَ أثرُه على عواطفه التي انسابَت عبر مداد قلمه في صورة خواطر تعزف على أوتار التأمُّلات.

الحُب غير المشروط للوطن شعورٌ يتدفق دون حدود بين السطور كما نرى في سرَّاية 271 حين يقول: " أُحبُّ أن أكونَ نغمًا في نشيد بلادي وحرفًا في اسم وطني، وفي أرضه حبَّة غُبارٍ وفي هوائه خيط نسيم يجرّني إلى آخر نفَسٍ" وهو المحبوب الذي لا مُنافس لَهُ في جماله كما يتجلّى في سرَّاية 127 : " بدأ الوردُ في خديكِ وانتهى عوده في خاصرتك، وأتى الجمالُ لحديقتك يقترضُ جمالاً، وتوافدَت العطور تستعيرُ منك رحيقًا، ثُلاثيَّة الجمال "سماءً وبحرًا وأرضًا"؛ يا رائعة التكوينِ أنت يا بلادي"، وهو أُغنية الحُب المُلهمة للأجيال كما تُلمح سرَّاية :399 " بين نشيد طفلي ونشيد الوطن تسكُن أعظم أُغنية حُب».

هذا المرفأ الآمِن والمأوى الغالي الذي يملك تاريخ أبنائه وأجدادهم يستحق الدفاع عن وجوده المادي والمعنوي كجُزء لا يتجزأ من كيانهم ووجدانهم ماضيًا وحاضِرًا ومُستقبلاً وباعتباره هبةً إلهيَّة يستحيل تعويضها، وهو ما تؤكد عليه السرَّاية الأولى في مُستهل الكتاب بقولها: "لم أجد في الأيّام زمن، ولا في المسافاتِ سكَن، وكُل مقام لا يُساوي نغمةً إذا ضاعت معزوفة الوطن»؛ قبل أن تَأتي سرَّاية 378 بعد صفحات مؤكدة استحقاقه كل ما يُمكن من تضحيات بلُغة شاعريَّة مُرهفة وتشابيه بلاغيَّة تخطف الأنفاس: «إذا فُتق علمُ بلادي ستكون عروقي خيوطًا له، وإذا انكسَرَ صاريه ستكونُ قامتي هامة شموخه»، ومع هذا لا يستوي الجميع في حجم حُبهم لأوطانهم، لأن: « الوطن نسكُنهُ ويسكُننا زلكن بفارق المحبَّة، البعضُ أسكَنهُ حُجرةً بالقلب، والبعضُ بنى لهُ عمارةً بين الضلوع، والبعضُ أسكَنهُ بالإيجار، والبعضُ أعطاهُ القلبَ والجسدَ والروحَ هبة تمليك" كما تُخبرنا سرَّاية 583..

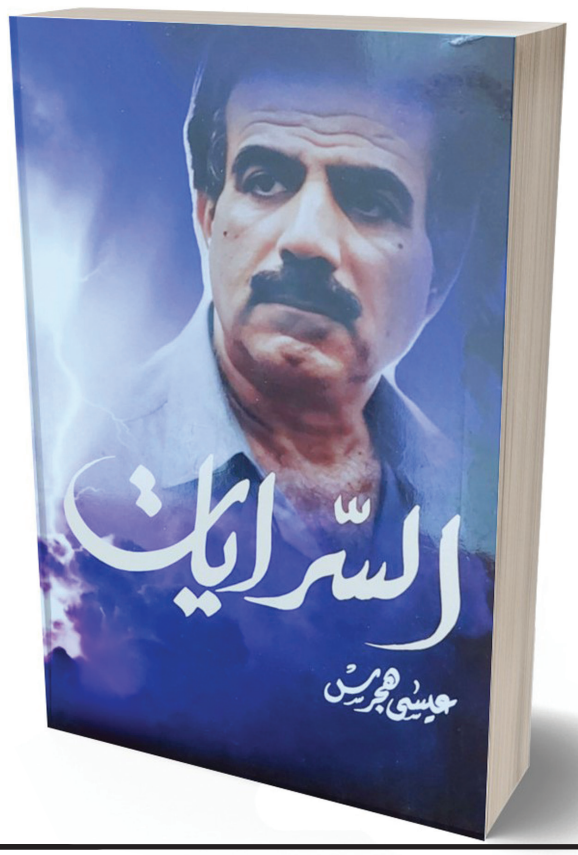

وإذا كان حُب الوطن قضيَّةً أساسيَّة ومبدأ لا يقبل جدلاً كما يراه مؤلِّف السرَّايات؛ فإن الواقع المُعاش يُعلن عن قضايا مُجتمعيَّة وسياسيَّة فرعيَّة تتبعها وتمس حياة المواطِن ما يجعلها أهلاً للتأمُّل.. وجود مجموعة قد لا تتفق مع بعض ما تراه من زوايا أُخرى لا بد وأن يكون نابعًا من نوايا مُحبَّة طيّبة تجعل من مصلحة هذا الوطن على قمَّة أهدافها ومبادئها، وعن هذا تقول سرَّاية 331 : "لصوتِ المُعارضة موجةٌ طولها طول خريطة الوطن، وقياسُ ترددها عدد المواطنين، وأي طول وتردد آخر هو خارج تغطية المواطنة"، كما أن على المواطنِ الواعي الإيمان بضرورة التعايُش البنَّاء تحت سماء هذا الوطن وفق ما تُشير إليه سرَّاية 233: " كُن مواطنًا مُتسامحًا يمسي في هيئة دولة؛ كالمصباح المُنير لا يُفرّق في نوع الكائناتِ حوله»، ليظل الوطن بمواطنيه قلعة كرامة عصيَّة على كُل قوّة شر دخيلة قد تسعى لزعزعة استقرار العيش على أرضه وفقَ ما تؤكد سرَّاية 462 بثقة: «وطني.. في القسمة أحبابي وفي الجمع حبيب، يا شبرَ الأرض الذي رفضَ حذاء الغريب».

يأخذ الكتابُ قارئهُ في رحلة مُمتعة على زورق التأملات نحو جُزُرِ الفكرِ والحكمة، مُستعينًا بلغة موسيقيَّة مُترفة بالمُحسّنات البديعيَّة، حريصًا على أن تأتي كُل سرَّايةً من سرَّاياته في سطور قليلة تجنبًا للسقوط في فخ التعقيد والإملال، ما يجعل منهُ رفيقًا جيدًا للراغبين في قراءته دُفعةً واحدة أو على دفعات.

إعادة قراءة .. إعادة كتابة !

في "المقدّمة" يذهب ابن خلدون إلى أن "التاريخ في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الدّول والسوابق من القرون الأُوّل، تنمو فيه الأقوال وتضرب فيه الأمثال، إلا أنه في باطنه نظرٌ وتحقيق، وتعليلٌ للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل، في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعدّ في علومها وخليق".
وكأننا بابن خلدون في هذا يحضّنا على التفكّر في الحاجة الدائمة التي لا تنتهي لإعادة تأويل التاريخ، حيث لا قولاً نهائيا فيه، حين تصبح جميع الأحكام خاضعة لإعادة الفحص والتدقيق.

د. حسن مدن

ولعلّ هذا ما عناه الأديب الألماني غوته حين قال إنه "يتعيّن إعادة كتابة التاريخ بين حين وآخر". وهي دعوة شديدة الجاذبية، ذلك أنها تُحرضّنا على ألا نستسلم للمرويّات المتوارثة، وأن نعيد تدقيقها والبحث عما هو خارجها، بمعنى ما أغفلته سهواً أو عمداً، وخاصةً عمداً، إذا أخذنا بعين الاعتبار الحقيقة المتواترة من أن التاريخ كتبه المنتصرون، فأقصوا، وهم يكتبونه، كل ما لا يتلاءم وأهواءهم ومصالحهم.
لكن عبارة غوته حمَّالة أوجه، فالدعوة لإعادة كتابة التاريخ بين حين وآخر، قد تؤوّل على أنها حثٌ لمن آلت إليهم الأمور لأن يعيدوا كتابة التاريخ وفق أهوائهم ومصالحهم، ما يُقصي مرويّات اعتمدها الناس قبل ذلك، خاصة أنه من المستحيل الجزم بأنّ إعادة كتابة التاريخ هي، في المطلق، أفضل من كتابته الأولى، فهي نفسها قد تكون تزييفاً لوقائع هذا التاريخ، فيما أصحابها يزعمون أنهم يغربلون التاريخ مما لحق به من زيف.
أحدهم قال: "إنّ التاريخ لم يقع .. والمؤرخ لم يكن هناك". وأيا كان الأمر فإن التاريخ قد وقع، لكن المؤكد أن المؤرخ لم يكن هناك بالفعل، لم يكن موجوداً وقت وقوع الحادثة، وهناك من شبهه برجل المرور الذي أتى متأخراً للتحقيق في حادثة مرورية في مكان وقوعها، وأعدّ روايته لما حدث نقلاً عن الشهود، والشهود ليسوا مجردين من الأهواء، ثم أن محضر التحقيق تضمّن في خلاصته ما ظنّه المحقق صحيحاً، أي ما اقتنع به هو من شهادة هذا الشاهد، لا ذاك.
وليس بوسع أحد أن يجزم في صورة مطلقة أنّ هذه الشهادة بالذات هي الحقيقة الناجزة.
في "المقدّمة" أيضاً صنّف ابن خلدون المؤرخين في خانات، أو طبقات حسب تعبيره، ومن هذه الطبقات، طبقة فحول المؤرخين، وذكر منهم: الطبري، ومحمد بن يحيى، ومحمد بن سعد الواقدي، ممن جمعوا أخبار الأمم في كتبهم. ثم طبقة الجهال، ممن وسمهم بالتطفل لأنهم خلطوا الأخبار بالباطل خطأ أو عمداً، واقتفى بعد هؤلاء جماعة قبلوا هذه الآثار واتبعوها وأدوها كما سمعوها، وتليهم طبقة المقلدين، الذين اتبعوا آثار هؤلاء ولم ينقحوا الأخبار ولم يراعوا طبائع العمران فيما حملوه من الروايات، وأخيراً طبقة المختصرين، الذين اكتفوا بأسماء الملوك والأمصار، كما فعل ابن رشيق في "ميزان العمل".
علينا بعد هذا تخيّل كيف كُتب التاريخ أو أعيدت كتابته. وعودة إلى ما بدأنا به الحديث، فنقول إنّ التاريخ يظلّ دائما بحاجة لإعادة قراءة، وبالتالي لإعادة كتابة، وفي عبارة أخرى لإعادة تأويل. ربما لا يدور الخلاف حول أنّ واقعة تاريخية ما تمّت أو لم تتم، وإنما يدور في درجة أساسية حول الملابسات التي أحاطت بهذه الواقعة، وهو أمر يُذكّرنا بالفارق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، ومن ضمن هذه الأخيرة التاريخ، فإذا كان بوسع عالم الفيزياء أو الكيمياء أن يجري الاختبارات العديدة في المختبر للتحقق من النتائج العلمية التي بلغها، فلا تغدو «حقيقة» إلا بعد فحوصات متأنية، فإنّ الباحث في العلوم الاجتماعية يشتغل في فضاءات اجتماعية ومعرفية معقّدة تجعله عرضة للخطأ أكثر من عالم الطبيعة، لأنه لا سبيل سريعاً لاختبار خلاصاته أو التحقق من مدى صحتها. كان الفلاسفة الطبيعيون قد لاحظوا ذلك حين نبهوا إلى أنّ مادة التاريخ بالذات غير ثابتة وغير قابلة للتحديد، لأن الاختبار والتجربة أمران غير ممكنين في الدراسة التاريخية.

علينا أن نتخيّل كيف كُتب هذا التاريخ أو أعيدت كتابته

ربما تتصل العودة المطلوبة للتاريخ بالجزئيات والتفاصيل التي كثيراً ما جرى إهمالها لصالح التعميمات، أي الوقوف عند الأحداث الكبرى كالحروب والغزوات، وإغفال ما كان خلف ذلك أو في موازاته، بصفتها عناصر لها سياق مستقل له سيرورته الخاصة به التي ظلّت مستمرة ولو على «هامش» التطورات الحاسمة.

بلا ذاكرة

فاطمة محسن

أجلس مع نفسي كغريب لا يعرف الطريق
كصدى يردد نفسه
في غرف مهجورة
أبوابها الصمت ، ونوافذها الخواء
كصحراء منفية رمالها
تنتظر بحرا كي تغرق فيه
لكن البحر لايأتي أبدا
أجلس مع نفسي
أمام كومة من الرسائل القديمة
كل ورقة تشمت بي
وتهمس بلؤم
لقد تأخرت عن نفسك كثيرًا
كشجرة عارية
تستحلف الخريف أن يلملم أوراقها الصفراء
ويبعث فيها الخضرة من جديد
لكن الخريف ينظر بعيدًا
وكأنه مثلي بلا ذاكرة

التقدمي

التقدمي العدد 209 ـ إبرايل 2025 السنة 23 SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

توازن

عبدالحميد القائد

أكتبُ كي لا أفقد توازني
أنا الذي تَدفعني الريحُ
بشكلٍ دائري
دونَ علمي
ربما أسقطُ فجأةً
لتَبتلعني
لعناتُ هذا الزمن الغادر
لم أتعلّم فن المُراوغةِ
أو الدخولِ إلى أفئدةِ البُسطاءِ
كي أقتلعُ أفراحهم لقلبي

لأتركهم يَزدادونَ سُقوطًا
ما عادَ الكادحونَ دعائمَ الحياة
ولا الشُعراءُ انبياءَ العصر
فهم أحرقوا الشَمسَ
من أحشائها
أحرقوا قلبي
حتى منبع الأحلام
لسنا قادرينَ على رؤيةِ المدى
يرسمه قتلةُ الأطفالِ والبَنفسج
ضعوا أياديكم على آذانكم

اضغطوا عليها بقوةِ الفهود
كي لا تسمعوا أنينَ الأيائلِ
وهم يعدون بَحثًا
عن مخرجٍ من الكُرةِ الأرضيةِ
هربًا من حَريقٍ قَادمٍ
لا نَراه
ليجتث عِشقنا
وما نهواه

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com